١٠٧

روايات أحلام

مرايا بلا خلل

www.liilas.com
طوق الياسمين

روايات أحلام

منتديات إقرأ الثقافية

مرايا بلا ظل

أحياناً تكفي خطوة واحدة.. نفتح باباً فيتغير العالم كله ولا يعود شيء كما كان.. كانت كورين تتقدم نحو كوخها الصغير المعزول وسط الثلوج، لكن الكوخ الذي كان آمناً يوحي بالدفء والسلام، أصبح الآن ينذر بالشر وبالخطر، فماذا ينتظرها خلف الباب؟

لن تعرف إلاّ إذا أكملت مسيرتها، وكانت كورين في كل خطوة تقترب.. تقترب من قدرها المحتوم..

- من أنت؟

- أنا رجل يعيش في جحيم.. جحيم على الأرض!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦ د. مصر ٤ ج. ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب د اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان .. العراق

روايات احلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة
والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.
العنوان: بيروت ـ طريق المطار ـ قرب جسر المطار
سنتر زعرور ـ الطابق الثالث.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم
جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر
حمرة حويك ت. ٨٢٣١١٨ ـ ٢٨٧١٥٨/٠٢

١ ـ في بيتي غريب

كان الهر جالساً على عتبة باب الكوخ في الزاوية، بعيداً قدر الإمكان عن رقع الثلج المتطايرة بفعل الريح.. شاهدت كورين وهي تتجه نحو الممر المفضي الى منزلها اللون القاتم الذي يعكسه لون فروه أمام بياض الثلج.. لم يكن هناك ما هو غير عادي في وجوده هناك.. فطالما انتظر «رسل» عودتها من قرية «فورلي»، في المكان نفسه. ولكن لم يكن لما سمّرها وأرسل رعدة في أوصالها علاقة بالريح الباردة المريرة المعولة في السهول، بل قناعتها الثابتة بأنها عندما غادرت المنزل قبل ساعتين تقريباً كان الهر في الداخل قرب النار مستمتعاً بالدفء.

ترددت كورين.. اضطربت عيناها اللوزيتان الصافيتان وهي تتذكر الدقائق الأخيرة على مغادرتها الكوخ.. لقد ارتدت ثياباً سميكة لأنها تنبهت إلى أن الثلج يهدد بالتساقط. ودست الجينز في الحذاء المرتفع الساقين ثم أضافت معطفاً صوفياً كحلي اللون وقبعة حمراء مشغولة يدوياً، أخفت كل خصلات شعرها البني الجعداء.. ثم أخذت لائحة مشترياتها وعدة الأكياس التي هي الآن أمام قدميها وتفحصت المدفأة لتتأكد من وجود ما يكفي من فحم حجري خلال غيابها.. و.. أجل! عاد المنظر بشدة إلى ذهنها. لقد توقفت تتلمس فرو «رسل» قبل الخروج على مضض،

في الطريق الوعرة الطويلة نحو القرية.

تحركت كورين بقلق ضاربة قدمها بالأرض في محاولة لإبعاد البرد.. كانت متعبة تؤلمها ذراعاها من حمل الأكياس.. جمدت الريح الباردة أوصالها. أرادت بائسة الدخول مفكرة بشوق في كوب من الشاي الساخن، ولكن وجود رسل في الخارج يدل الداخل يعني أنه استطاع فتح الباب الأمامي وإغلاقه بعد ذلك وراءه، وإن لم يكن هو الفاعل فهناك شخص ما في المنزل. ربما دخل شخص ما إلى منزلها وهي تتسوق في «فورلي».. وترك الفرصة للهر حتى يخرج.

شعرت للمرة الأولى بريبة في صحة قرارها في اختيار مكان منعزل كهذا لتعيش فيه. عندما شاهدت للمرة الأولى «مور إندكوتيج» كان ذلك بعد ظهر يوم من أيام أيلول المنعشة.. بدا لها المنزل الصغير مكاناً يبعث السرور في النفس ويؤمن لها الهدوء والملجأ الآمن الذي تتوق إليه.. لكنها الآن، أي بعد ثلاثة أشهر، وبعدما طمس الثلج معالم الممر الوعر المرصوف، أدركت مدى تعرضها لجميع أنواع الأخطار. تذكرت رعب والدها المصدوم عندما شاهد منزلها الجديد.

صاح بها:

ـ لن تعيشي هنا! كورين، حبيبتي.. إنه مكان منعزل! لا كائن حي فيه قبل أميال عدة.

ـ لكن، هذا ما أحببته فيه! لا تتصور كم وجدته هادئاً بعد العيش في شقتي في «اليدز».. كان يجب أن تعيش هناك لتعرف مدى الضجة التي كنت أعاني منها. لست فتاة مدينية. إن «مور إند» يناسبني فلا هاتف ولا زوار بل أنا فقط.

أضافت لنفسها بصمت: ولا هاتك! ولكنها لم تثق بنفسها

لتتفوه بالكلمات، مع أنها تعرف أن أباها سيفهم إن سمعها.

ـ لا أفهم لماذا لا تعملين عندي. عندئذ بإمكانك العيش في المنزل وسيكون لك مكتب في المصنع..

ـ فأمضي أمسيات هادئة معك ومع جوانا؟

لم تستطع منع الحدة في صوتها لدى ذكر زوجة أبيها:

ـ لا أبي.. تعرف أن هذا لن ينجح. الشيء الوحيد المشترك بيني وبينها هو أنت.. أصبح «مور إند» بيتي الآن.

تنهد ستانلي لايتليتون: «حسناً، إنما عديني أن تبقي على اتصال.. أنا غير سعيد بوجودك في مرتفعات «ووذرنغ» وفي مكان كهذا».

رنت كلمات أبيها في أذنيها وهي تقف مرتجفة مرتبكة وقرّانة، تحدق إلى الكوخ الذي كان بيتها الحقيقي مدة أسابيع قليلة، تتساءل عما ستجد فيما لو دخلت إليه.. كانت عازمة النية على الابتعاد عن الرتابة.. لم يدل الكوخ نفسه على وجود متطفل بين جدرانه.. لا أنوار مضاءة من النافذة الصغيرة القديمة الطراز، وها هي الظلمة المحدقة تضفي على المنزل الصغير مظهراً مخيفاً مزعجاً وهمياً..

تنهدت كورين، وشدت جسدها منتصبة، ستتجمد إن لم تتحرك بسرعة. آن لها أن تتخذ القرار.. يجب أن تخاطر بالدخول إلى الكوخ مهما كانت النتائج.. إما هذا، وإما العودة إلى القرية التي تبعد ميلين.

هبت الريح فجأة فالتف الثلج في طريقها حتى كاد الكوخ يختفي عن ناظريها، وكان أن اتخذ القرار عنها.. على أي حال، ربما تتوهم ما لا وجود له.. بإمكان الهر أن يتحرك كالبرق متى شاء، ويمكنه بسهولة التسلل من بين قدميها إلى الحديقة.

ما إن وصلت تحت قنطرة الباب، والمفتاح في يدها، حتى تطلعت إلى الباب عن قرب. تسمرت في مكانها ولكن ذراعها ظلت ممدودة.

لم يكن الباب مقفلاً بالكامل بل شق إنش أو يزيد بينه وبين القائم.. دفعته بخفة بقدمها فانفتح ببطء، يرافقه صرير خفيف.. لم تستطع التحرك أو الخطو خطوة إلى المنزل.

نادت مرتجفة: «مو.. مرحبا.. أفي المنزل أحد؟»

لم يكسر الصمت غير عويل الريح.. ابتلعت ريقها متوترة، ثم سحبت عدة أنفاس عميقة لتهدىء روعها.. لكنها فشلت في تهدئة خفقان قلبها الشديد، أجبرت نفسها على إلقاء نظرة على الردهة المظلمة..

لم ترَ ما هو مزعج فما زال الراديو على طاولة الردهة.. لو اقتحم لص المنزل لاختفى الراديو بكل تأكيد.. اطمأنت فجأة وكادت تضحك من مخاوفها.. الراديو جديد. إنه هدية والدها في عيد مولدها الأخير وهو باهظ الثمن، سهل الحمل.

كل شيء على ما يرام! لا أحد في الداخل! عمت الراحة نفسها بعد التوتر الذي سيطر عليها منذ شاهدت رسل على عتبة الباب، فتهاوت إلى الخلف تستند إلى قائمة الباب لتستعيد رباطة جأشها.. تسلل رسل من بين كاحليها، متجهاً فوراً إلى المطبخ الواقع في نهاية الردهة، حيث أنشب مخالبه في الباب الخشبي السميك، يشد فيه بتصميم حتى انفتح، ثم توارى منتصراً بحثاً عن الطعام.

لم تكبح هذه المرة ضحكتها بل تركتها تصل إلى أعماقها.. لقد أظهر لها الهر لتوه كيف خرج بالضبط من المنزل بغير مساعدتها. يصعب إغلاق الباب الأمامي الذي يحتاج إلى قوة

ليقفل جيداً.. لا شك أنها تركته شبه مقفل عندما غادرت المنزل فكان أن فتحه الهر بكثير من الصبر والتصميم ثم أقفلته الريح الهوجاء وراءه.

امتلأت بطاقة جديدة فنفضت عنها آخر ترددها وسارت في الردهة لتضع الأكياس على الأرض، قبل أن تحكم الباب وراءها حيث شدت الرتاجين الحديديين القويين، وكأنما تطمئن مخاوفها السابقة.. أقسمت لنفسها أنها لن تترك المنزل مرة ثانية بدون التأكد من الباب.. فقد لا تكون محظوظة في المرة القادمة.

وتمتمت بصوت مرتفع: «حسناً.. هو على الأقل محكم الإقفال الآن!»

كان باب غرفة الجلوس مواربا، فنظرت من خلاله وهي تمر به وابتسامة رضى تفرج شفتيها لرؤية الغرفة الصغيرة الدافئة الناعمة بوهج النار.

ما أروع أن يعود المرء إلى بيته.. خلعت «البوط» ومدت يدها بحثاً عن الخف.. فليفعل الطقس أسوأ ما يستطيع.. لا يهمها هذا! فلينكدس الثلج ست أقدام إن شاء في الخارج.. وستكون سعيدة.. فلقد توقعت هذه العاصفة، ووضعت خططاً لها.. لديها ما يكفي من فحم حجري ومن طعام. وهي غير خائفة من وحدتها، لديها ما يشغلها، ورسل هو الصحبة الوحيدة التي تحتاجها.

أخذت كورين تدندن خالية الوفاض، وهي تسدل الستائر المخملية السميكة. مبعدة عن نظرها مظهر الحديقة المظلمة الكئيبة، ثم شغلت زراً أضاء الغرفة. ولكن سرعان ما تلاشى مزاجها المرح المشرق وارتفعت يدها إلى فمها منعاً لصيحة ذعر ارتفعت إلى شفتيها وهي تحدق بعينين واسعتين خوفاً إلى المعطف

الملقى على الأريكة.

كانت سترة سميكة كحلية اللون، معدة لرجل، غريبة، وخطرة المظهر بطريقة مهددة، تتدلى على ذراع الأريكة، الواضح أنها رميت بلا اكتراث أو أناة مع أنها مبللة إلى درجة أن الماء الذي يتقطر منها بلّل الغطاء.

شلّها الذعر.. فأبعدت بجهد فائق عينيها عن السترة، ونظرت بذعر في الغرفة، ظانة أن مالك المعطف مختبىء في مكان ما.. لم تره في العتمة النسبية.. ولكن الغرفة فارغة.. ولم يبرز لها شبح أسود من وراء الباب أو من وراء خزانة الكتب.. والمنزل صامت كحاله السابق.. لكن هذا الصمت الذي وجدته مرحباً، بدا الآن مثيراً للاضطراب، شريراً، مشبعاً بخطر غير مرئي. لا شك أن الرجل الذي كان يرتدي هذا المعطف موجود في مكان ما.. ولا شك لديها أنه في المنزل.

قوّت عزيمتها وتحركت نحو المدفأة مارّة باضطراب قرب الأريكة خشية أن ينبعث المعطف حياً، أو أن تمتد يد من تحته لتمسك بها. أمسكت بيدين غير ثابتتين ملقط النار الحديدي بقوة.. تأخذ قوة جديدة من ثقله. اشتعلت شعلة صغيرة من الغضب في كيانها أحرقت بعضاً من خوفها.. هذا منزلها، ولا يحق لأحد بالدخول إليه، رامياً معطفه وكأن المنزل منزله! ليست عاجزة عن الدفاع عن نفسها وليست عجوزاً ضعيفة كالعمة الكبرى ليز التي عاشت هنا أكثر من عشرين سنة، وظلت سالمة. إنها قوية شابة، ومستجد هذا الدخيل غير المرغوب فيه، وترميه إلى الثلج..

سارت بصمت في خفها رافعة الملقط الحديدي أمامها كالسيف. وفتشت الطابق الأرضي.. وهذا لا يحتاج إلى وقت طويل لأن موراند لا يحتوي في طابقه السفلي غير غرفتين.

المطبخ القديم الصغير، وغرفة خلفية كانت أساساً غرفة طعام في العادة وأصبحت الغرفة مصدر سعادتها بعدما حولتها إلى مشغل لها.. ولكنها لم تكن تشعر الآن بسعادتها المعتادة وهي تفتشها.. وكأن المنزل كله ملوث بوجود المجهول غير المرئي.

كادت شجاعتها تهجرها عندما أضاءت نور الردهة، واكتشفت وقع أقدام على الأرض الخشبية أغفلت عنها سابقاً وهي تصل إلى غرفة الجلوس ثم إلى الردهة فالدرج. إنه فوق! لا شك أنه اختبأ ما إن أحس بها. تقلصت معدة كورين بسبب فكرة وقوفه صامتاً في الظلام، يصغي وينتظر.. من هو يا ترى؟ هيبي مراهق شعره برتقالي أشعث أم رجل عجوز متجول متشرد في أواخر الخمسين أو الستين؟

حسناً، هذا آخر المطاف أيها السيد، مهما كان اسمك.. اشتدت قبضتها على الملقط الحديدي للنار.. هذا منزلي.

طقطقت ألواح الدرج الخشبية بشكل فاضح وهي تتسلقها ولكن لم يبدر صوت من الغرفتين في الطابق العلوي.

كان باب الحمام مفتوحاً، وهو مكان غير صالح للاختباء وهذا يعني أنه في إحدى غرفتي النوم.. رفست باب غرفتها بنفاد صبر وفتشت فيها بسرعة مبتسمة قليلاً رغماً عنها، لأن عملها هذا ذكرها بالأفلام البوليسية.

لكن هذا ليس فيلماً.. وهي ليست كلينت ايستوود أو تشارلز برونسون إذ كانت شجاعتها تتناقص مع مرور الوقت. لم تتوقف للتفكير في ما ستفعل عندما ترى وجه المتطفل.. بعد تفتيش سريع تحت السرير والخزانة الضخمة، لم يبق أمامها غير غرفة واحدة.

لن تستطيع التراجع الآن، فمن المستحيل العودة إلى الطابق

السفلي وهي تعرف بالضبط أين هو. ابتهلت إلى ربها بصمت أن يكون المتطفل قد هرب من النافذة بعدما علم بأن أمره قد انكشف.. فتحت كورين الباب بحذر، ونظرت إلى الغرفة.. كانت كل عضلة من عضلاتها مشدودة ومستعدة للدفاع والمعركة ولكنها وجدت غرفة النوم ساكنة مظلمة.. كان الثلج المتطاير يكوّن ظلالاً غريبة فوق السجادة، تتغير باستمرار على قميص رجل يستلقي على السرير.

إنه يغط في نوم عميق، إذ لم يتحرك عندما انفتح الباب أو عندما تقدمت كورين بهدوء في الغرفة وعيناها لا تفارقان الجسد الساكن في السرير.

أقفلت الباب وراءها، واستندت إليه.. كانت ساقاها ترتعشان وتوترها يتلاشى أمام شعورها بأن هناك ما هو غير طبيعي.. لقد توقعت كل شيء إلا هذا، لم تتوقع البتة وجود رجل مرهق غير يقظ.. فهذا الرجل غارق في نوم عميق يجعله غير مدرك لما حوله. أمعنت فيه النظر عن قرب. أضاءت بذهول وارتباك المصباح قرب الفراش.. ولكن قبضتها ظلت غريزياً مشدودة على الملقط خشية أن يستيقظ.. بدا لها في البدء غير واضح المعالم.. ولكن تراءى لها بأنه ذو جسد طويل قوي.. وبأنه عريض المنكبين وبأن شعره أشعث أسود. تماسكت قليلاً ثم اقتربت أكثر لتتحقق جيداً منه.

لا يشبه المتشردين أو الهيبيين. لم تستطع كورين معرفة عمره الحقيقي، ولكنها تعتقد أنه في الثلاثين، أو الخامسة والثلاثين.. لم يكن شاباً صغيراً. فليس هناك من يمتلك مثل هذه الخطوط العميقة بدون أن يختبر خشونة العيش. يبدو شخصية قوية ولكنه أبعد ما يكون عن الصورة التي في رأسها عن اللصوص أو مقتحمي

المنازل.

ابتسمت لغبائها.. ماذا تتوقع؟ أن يكون مرتدياً قناعاً أسود، أو ملابس مخططة بالأبيض والأسود وأن يكون على ظهره كيس مكتوب عليه «مسروقات».

قالت لنفسها: انضجي يا فتاة، لا يخدعنك وجهه الجميل. إنه جميل المظهر، لا مجال لإنكار هذا.. وجهه نحيل، مظهر وجهه الجانبي حاد الوضوح إزاء الوسادة البيضاء، خطوط فكه الحازمة واضحة.. إنه مخلوق جذاب آسر، فيه جاذبية فجة، حتى في حالته الحاضرة، اعترفت كورين أنه من النوع الذي يروق لمعظم النساء.. تساءلت ما لون العينين تحت الجفنين المطبقين؟

كان يرتدي قميصاً أبيض شديد النظافة.. في الواقع، قد يكون جديداً. وجينزاً باهت اللون، مبللاً من الركبة حتى الأسفل، وكأنه كان يسير في عمق الثلج وصولاً إلى المنزل.. لم يكن هناك أثر لسيارة.. وليس في قدميه حذاء ولكن عندما اقتربت منه أكثر تعثرت بمداس ثقيل مرتفع الجانبين، موضوع بترتيب جنباً إلى جنب في أسفل السرير.. ليس من عادة مقتحم أملاك الآخرين التوقف ليفكر في ما سيفعله حذاؤه الموحل بالمفرش المصنوع يدوياً الذي يغطي السرير.. لانت طباعها أمام هذا المتطفل الغامض وهي تفكر فيه ولكن بعد ثانية نهرت نفسها لأن مثل هذه الأفكار خطرة!

أزعج الصوت الخفيف الذي صدر عنها عندما تعثرت بالحذاء منام الرجل فتحرك متمتماً بكلمات غير مفهومة قبل أن ينقلب على ظهره. ابتعد الشعر الكثيف الأسود عن جبهته، فشهقت كورين لأنها رأت الجرح البليغ فوق عينه، كان الجرح بطول ثلاثة إنشات تقريباً، شق مفتوح وقربه كدمة أفسدت بشرة جبينه.. لا شك أنه

نزف دماً كثيراً في البداية، فثمة آثار دم جاف على صدغ الرجل الأيسر، وآخر على خده.. لكن النزف متوقف الآن، وليس على الوسادة أثر للدم. على أي حال سيشعر بالألم عندما يستيقظ.

أعادت تلك الفكرة اهتمام كورين إلى وضعها الحالي.. كيف تلقى هذا الجرح؟ غيرت إصابته الموقف قليلاً، فبعد ضربة بليغة كهذه على رأسه، من المستحيل أن يفكر بصفاء ذهن.. ربما اقتحم المنزل ظناً منه أنه لشخص يعرفه.. لذا، يجب أن تستعد لبعض العدوانية.

ـ ماذا سأفعل بك؟

ارتفع صوتها بالكلمات عن غير وعي تخاطب الرجل في السرير.. وكأنما استجاب لها إذ تحرك مرة أخرى يحرك رأسه من جانب لآخر.. متمتماً بصوت أجش:

ـ لا.. ما من مزيد.. هذا كثير.. كثير جداً..

تلاشى صوته بعد تنهيدة عميقة حزينة فلامس شيء ما قلب كورين.. بمَ يحلم؟ ولكن الحلم غير لطيف أبداً بل هو كابوس، سيكون سعيداً إن استيقظ منه، فكرت أن توقظه ولكنها رفضت الفكرة.. فما زالت تجهل ماهيته. انه متطفل دخل إلى منزلها بطريقة غير قانونية. ستكون جبانة إن تراجعت ولكنها غير مستعدة للمخاطرة بأن يستيقظ مجفلاً.

بدا وكأنه سينام ساعات.. ارتجفت.. كانت الغرفة باردة.. تصرفت بتهور انبعث من قلبها إذ أخذت الحرام المطوي في أسفل السرير ودثرت به الرجل النائم.. أمسك بالحرام حتى في نومه يشده إليه متنهداً، كان هذا العمل الدال على ضعف يتناقض بشكل درامي مع قسوة وجهه.. أحست كورين مرة أخرى بالشفقة تمسك قلبها.. ولكن في لحظة إدراك أعمى، فهمت ما فعلت، وأرسلت

الفكرة موجة ذعر إلى عقلها.. ما الذي دهاها بحق الله؟ نظرت برعب إلى الحرام الذي وضعته لا إرادياً على الرجل. مدت يدها لتنزعه مرة أخرى ولكنها ترددت خشية أن توقظه.

فجأة لم تعد تطيق البقاء في الغرفة نفسها مع المتطفل.. دار عقلها مفكراً في غبائها.. هربت من الغرفة، وكادت تقع عن الدرج على رأسها وهي تتجه إلى الباب.. لن تستطيع التعامل مع هذا الموقف بمفردها.. يجب أن تطلب المساعدة!

ارتجفت يداها وهي تعالج الرتاجين، ثم الباب الذي بدا أنه يقاوم محاولاتها لفتحه، ولكنه أخيراً أذعن، فانتزعت معطفها من المشجب وخرجت نحو الظلام.. أصبح الثلج أسوأ حالاً. كانت كورين مغشية البصر بسبب رقعه الصغيرة المصطدمة بوجهها ببرودة لاذعة.. أدركت متأخرة أنها في عجالتها خرجت وهي مرتدية الخف. لقد بدأت قدماها تتجمدان.. ولكنها لن تعود إلى الداخل! ربما أيقظ فرارها السريع الرجل النائم، ويجب الابتعاد بأسرع ما يمكن.

أخذت تضع بعناد قدماً أمام أخرى تشق طريقها في الثلج محاولة إشغال أفكارها عن البرودة المؤلمة في يديها وقدميها. فكرت في ذلك الغريب الغامض، ترى ما هو الحادث، أو القدر الذي حمله إلى هنا وهو على هذه الحالة؟ كيف أصيب؟ هل وقع؟ أفقد توازنه في حفرة ثلج غادرة.. أم.. ارتفع رأسها بحدة.. هذا الموقف يتعقد كلما فكرت فيه! ربما كان في سيارة، ومن السهل أن تتدهور به في مثل هذا الطقس.. ثم ليس لديها ضمانات بأن الرجل الذي في منزلها بمفرده! إنه سالم، ولو مصاب بكدمات وجروح.. ولكن هل هناك شخص غيره ملقى على الثلج في مكان ما؟

أحست كورين بالسقم من الفكرة.. ثم صاحت بعدما انزلقت قدماها، ووقعت على كومة ثلج ثقيلة.. شهقت بشدة ثم جرت جسدها لتقف، نافضة عن نفسها الثلج بأصابع مخدرة. ليتها تملك هاتفاً.. فلو كانت تملكه لاتصلت بالشرطة ما إن اكتشفت تلك السترة اللعينة ولسلمت الأمر كله إليهم.

أحرقت الدموع عينيها وهي تتذكر شهقة أبيها وخوفه عندما علم أن المنزل خال من الهاتف. أراد أن يدفع لها ثمن هاتف جديد.. ولكن بسبب عزمها على المحافظة على استقلاليتها الجديدة، رفضت العرض مع أن فكرة الهاتف فكرة جيدة إذ يوفر عليها السير حتى مركز البريد في «فورلي» عندما تريد الاتصال بزبائنها.. ولكن لم تكن الرحلة إلى القرية مشكلة في دفء أوائل أيلول، أما الآن فالميلان طويلان جداً.

علقت أنفاسها في حلقها، فتوقفت لتنظر إلى الخلف، وتأوهت عالياً لأنها أدركت أنها لم تقطع أكثر من ثلاثين ياردا. ومع ذلك فهي مرهقة.. لقد تبلل بنطلونها الجينز وأصبح خفها كتلة ثلج حول قدميها.. لم تكن ترى شيئاً أمامها.. فقد أعمى الثلج بصرها وأطبق الليل الحالك عليها بسرعة، وخاضت إلى الأمام. ولكن، بعد بضع خطوات اضطرت للتوقف مرة أخرى.. إن سماكة الثلج تزداد.. وفي أية لحظة قد تجد نفسها غارقة به حتى خصرها.

ضربت الريح رأسها فشعرت بالدوار، وبالغثيان.. كل أثر للغضب الذي أحست به في وقت سابق تلاشى.. وأخذ معه الشجاعة التي أشعلها..

صاحت عالياً: «النجدة! أرجوكم فليساعدني أحد!».

لكنها كانت تعرف وهي تصيح أن لا أحد قد يسمع نداءها.

واجهت الحقيقة.. لن تستطيع الاستمرار.. إنها تواجه خطر التجمد حتى الموت لو تقدمت أكثر في هذه الظروف المخيفة.. ولكن منزلها ليس الملجأ الآمن كذلك، ففيه خطر داهم.. لا.. لا يمكنها العودة! لكن حتى وهي تقول هذا لنفسها عرفت أن لا خيار أمامها، فليس هناك بيت واحد حتى «فورلي». على الأقل في الداخل في النور والدفء.. سيكون لها فرصة ما.. إرتدت بصوت يائس مخنوق نحو المنزل.

الواضح أن الرجل في الغرفة فوق ما يزال نائماً.. لكن، عاجلاً أم آجلاً سيستيقظ، وما إن يستيقظ.. تمسكت كورين بحافة المغسلة طلباً للدعم.. إنها بحاجة إلى نوع ما من الحماية.. لكن ما هو؟

فتحت درج أدوات المطبخ، وأخذت سكيناً حادة دستها في جيب الجينز.. لكن إن كانت صادقة مع نفسها لاعترفت بأنها لن تملك الجرأة لاستخدام مثل هذا السلاح، حتى ولو هددها العنف. ولكن مجرد معرفتها بأن السكينة بحوزتها أشعرها بالقوة.

بدأ الصمت يؤثر في أعصابها.. كانت كل طقطقة في ألواح الأرض الخشبية ترعبها.. شغلت الراديو لإشغال نفسها فقط. ساعدها صوت الموسيقى قليلاً.. ولكن لو سألها أحدهم فيما بعد عما سمعته من موسيقى لما تمكنت من الإجابة.

نظر إليها طيفها المنعكس على زجاج النافذة فوق المغسلة فأظهر لها جسداً نحيلاً ضعيفاً.. في كنزة بيضاء فيها زهور خمرية الألوان.. إنها من صنع يديها ومن أفضل تصميماتها، لكن هذا التفكير لم يبعث إليها الراحة، حدقت في الوجه الشاحب المتوتر الذي تحيط به خصلات شعر بني جعداء.

الفتاة التي كانت تراها، واسعة العينين يحيط بهما أهداب

كثيفة سوداء فوق ثغر مبتسم عادة، لكنها لم تكن تبتسم الآن.. بل بدت شفتاها يابستين كخشبة. كانت تبدو صغيرة هشة، لا يحميها شيء. امرأة شابة في الثانية والعشرين، مسلوبة اللب، تترك مكانها لطفلة ضائعة مذعورة..

همست: «آه.. أبي.. لماذا لم أصغ إليك؟»

لبنها اقتنعت فقط بمسألة الهاتف. بإمكان الشرطة الوصول إلى هنا في فترة قصيرة ولو حدث ذلك لأخذوا الرجل النائم فوق، ولظل منزلها آمناً، سالماً كما كان.. أتراها لن تشعر بعد اليوم بالأمان وهي بمفردها؟ إذا استطاع هذا الرجل الدخول بهذه السهولة.. ارتجفت كورين.. أحنت رأسها وسبحت عيناها بدموع الخوف والغضب.

فجأة توقفت الموسيقى وعلا صوت المذيع «الساعة الآن السابعة وإليكم الأنباء.. يتزايد الخوف على مصير البريطانيين الثلاثة..»

انقطع صوت المذيع فجأة في وسط الجملة.. ارتفع رأس كورين.. في الصمت الذي ران، شعرت بالبرد وبالخوف يلفها من رأسها حتى قدميها.

لم تكن بحاجة لتدير رأسها لتعرف من يقف خلفها.. فقد أحست بوجوده بكل عصب في جسدها.. لا شك أنه وصل إلى المطبخ بخفة النمر الواثق من نفسه، لأنها لم تسمع وقع أقدام حتى توقف الراديو فجأة.

تحركت ببطء شديد.. ودست يدها في جيبها.. تطبق أصابعها على قبضة السكين، قبل أن تستدير لتواجهه.

* * *

٢ ـ لا تلمسني وإلا...

كان واقفاً في الباب.. ضخماً، مكفهر الوجه، يبدو مخيفاً وهو واقف على قدميه. كان المصباح الخفيف الإنارة قرب السرير قد أخفى اسمرار بشرته الشديد، وهذا ما بدا شاذاً أمام عاصفة الثلج البيضاء المولولة في الخارج. كانت يداه في جيبي الجينز، وقفته توتر كل عضلة في جسده وفي عينيه تعبير حذر يكشف يقظة تشبه يقظة حيوان بري قد أحس بالفخ.

ضاقت عينا الرجل بسرعة عندما ارتدت كورين لتواجهه.. لقد تساءلت عما هو لون عينيه.. والآن ترى أنهما شديدتا الزرقة.. زرقة باردة صامتة، لا أثر للدفء فيهما.. مرت بها نظرته، نظرة تقويم باردة جعلتها تشعر بدون سبب محدد أنه ينظر مباشرة إلى أعماق كيانها. ثم صرف النظر عنها وكأنها غير ذات أهمية أبداً. أحست بالغضب الذي بدأ يشتعل في داخلها بسبب تصرفه. رحبت بهذا الغضب مسرورة فإذا استطاعت البقاء غاضبة فهذا يعني أن لديها فرصة أكبر في مواجهة هذا الموقف الرهيب. مع أن رؤيته هناك، جعلتها تشك في أن تكون لها فرصة أمامه إن كان المجرم الذي تشك أن يكون..

أخيراً تكلم الرجل بهدوء:

ـ هلا أخبرتني أين أنا حباً بالله؟ ومن أنت يا سيدتي الكريمة؟

ارتفع ذقن كورين بتصميم، وتلاقت عيونها الضيقة دون وجل.. قالت بحدة: أظن أن هذا السؤال من حقي! على أي حال أنا من يعيش هنا.. وأنت من دخلت دون دعوة!

ارتفع حاجب أسود بسبب لهجتها، وهذا ما جذب اهتمام كورين إلى الجرح الكريه المنظر في جبهة الرجل.. عندما رأى وجهة نظرها رفع يده إلى الجرح وكأنما ليدافع عن نفسه، ولكن ما إن لمسه حتى انتفض ألماً. لمحت كورين وميض خاتم ذهبي في إصبع يده اليمنى الثالث، إن يديه قويتين، رائعتا التكوين. انتزعت اهتمامها بجهد إلى واقعها، فهو لم يرد على سؤالها:

ـ حسناً؟ لديك اسم على ما اعتقد؟

رد بلطف: «أجل.. إن كان من المهم لك أن تعرفي».

ـ ما هو إذن؟

ـ كريغ.

ـ كريغ ماذا؟

هز كتفيه بلا اكتراث: «كريغ فقط.. أو هذا ما تقوله ساعتي».

ـ ساعتك؟ وما شأن ساعتك بهذا؟

رد ببرود زاد من سخط كورين:

ـ كل شيء.

ـ اسمع الآن..

ـ لا.. بل اسمعي أنت.

أرجع كم قميصه الأبيض ليكشف عن ساعة أنيقة غالية الثمن. فكها ومد يده إلى كورين:

ـ خذي هذه.

لم تكن متأكدة إن كان هذا مجرد فخ، أو حيلة ليجعلها

تقترب منه، ليمسك بها. ترددت.. فرمى الساعة إليها، فالتقطتها آلياً بسرعة، ثم حملتها بارتباك وهي لا تعرف ما تفعل بها.

قال بحدة: «اقلبيها إلى الخلف».

فعلت ما قال فشاهدت كلمات محفورة: «إلى كريغ في عيد ميلاده الحادي والعشرين» التاريخ يعود إلى اثنتي عشرة سنة.. ارتفع رأسها بسرعة، وعيناها تقدحان ناراً. سألته بشراسة وهي تعيد الساعة إليه بغضب:

ـ أهذه فكرتك عن المزاح؟ طرحت عليك سؤالاً، وأريد له رداً مناسباً.. من أنت وماذا..؟

ارتد عنها، ينظر حوله في المطبخ، وكأنه يبحث عن شيء.. ثم سألها فجأة:

ـ أين تركت معطفي؟

ـ في غرفة الجلوس.

تحرك نحو الباب، فأضافت محتجة:

ـ رويدك للحظة الآن.. أظنك مدين لي بشرح!

ارتد كريغ إليها، يوجّه نحوها قوة عينيه الباردتين الشديدتي الزرقة، فارتعدت وشعرت بحلقها يجف ويضيق، حتى كادت تجد صعوبة في الكلام مجدداً.

ـ أعني..

ـ ماذا تريدين أن تعرفي؟

تكورت قبضتاها بسخط على جنبيها: «وماذا تظن أنني أريد أن أعرف؟»

كاد هدوء الرجل الذي لا يتزحزح يصيبها بالجنون! كان عليها أن تقاوم بشدة تهوراً يدفعها للإمساك به وهزه بشدة حتى يقول لها ماذا يفعل هنا:

ـ كيف دخلت إلى هنا؟

تكور فمه القاسي الثابت، قبل أن تعتليه ابتسامة ساخرة. قال ببرود: «لقد تركت الباب غير مقفل.. وهذا إهمال شديد منك.. فدخلت».

أحست أن الغرفة تميد بها. صاحت: «دخلت.. هكذا؟»

لا معنى لهذا الحديث المجنون، عليه أن يكون مرتبكاً، ومعتذراً.. ولكن الاعتذار أبعد ما يكون عن ذهن هذا الرجل..

ـ أهذا كل ما ستقوله لي؟ أتسمي هذا تفسيراً؟ حسناً أنا لا أعتبره هكذا! ليس تفسيراً شافياً! أنا...

صمتت فجأة حينما أدركت أن كريغ لا يصغي إليها، بل يستند إلى الباب محني الرأس قليلاً مغمض العينين.. بعد لحظة تنهد ورفع رأسه.. يقول بصوت أجش:

ـ اسمعي.. لا أريد التطفل عليك أكثر مما فعلت.. لكن، هل بإمكاني الحصول على قهوة أو شيء ما؟

تلاقت العينان الزرقاوان بالعينين اللوزيتين الحائرتين بشكل مباشر، كما حدث سابقاً.. ولكن فيهما الآن شيئاً مختلفاً.. نظرة فارغة غير مركزة، أزعجتها وأخافتها. أمعنت النظر فيه، فرأت أن وجهه تحت اسمراره شاحب ومجهد، وتحت عينيه ظلال رمادية أما يداه الطويلتان فليستا إلى جانبيه كما ظنت بل تمسكان بالقائم بقوة حتى أصبحت عقد أصابعه بيضاء بارزة.

سألته والقلق يمتزج بعدم الثقة: «ما بك؟ هل أنت مريض؟»

قال بصوت وكأنه آت من مكان بعيد: «لست متأكداً».

شد نفسه بجهد ملحوظ ثم هزَّ رأسه قليلاً، قبل أن يغمض عينيه قليلاً ثم رفع جفنين مثقلين، وذهبت نظرة الذهول من عينيه. قال: «آسف على هذا. الأمر فقط.. أظن أنه مر عليَّ وقت

طويل منذ تناولت فيه الطعام».

ردت بحدة: «هذا أمر غبي في مثل هذا الطقس!»

تعتقد أن السبب أكثر من وجبة طعام فلا يمكن لوجبة طعام أن يكون لها هذا التأثير على هذا الرجل القوي.

ـ متى تناولت الطعام آخر مرة؟

ابتسم بخجل، تقريباً، وأضاءت الابتسامة وجهه:

ـ حقيقة لا أعرف.

ـ آه. بالله عليك!

انسلَّت من بين شفتيها صيحة الاستغراب قبل أن تفكر.. بدا لها أن العالم انقلب رأساً على عقب.. منذ لحظة، كان جل ما تريده إخراج هذا الرجل من منزلها ومن حياتها.. والآن يبدو أن غضبها امتزج بقلق وسخط.. لا تشك في أنه يمثل دوراً.. يبدو أن الإغماء المؤقت مر بسلام لكن ما يزال في وجهه تلك النظرة المظلمة.. الواضح أنه كان يُجاهد ليبقى واقفاً على قدميه.. سحبت نفساً عميقاً قبل أن تجذب له كرسياً وتقول بحزم:

ـ اجلس.

عبَّر إذعانه عن الكثير. تولد لدى كورين انطباع حتى في فترة تعارفهما القصيرة بأن كريغ ليس رجلاً يتقبل الأوامر بسهولة.. جلس بصمت فيما تحركت كورين في المطبخ بسرعة وتوتر. ملأت الإبريق بالماء ودفعته فوق النار بعنف لا لزوم له.. فسألها بشيء من لهجته الساخرة السابقة:

ـ أيجب أن تفتعلي هذا القدر من الضجة؟

كان يسند رأسه إلى يده، أصابعه الطويلة مستقرة بخفة تحت جرحه الذي أصبح الآن بقعة حمراء قانية. سرعان ما شعرت كورين بندم غير إرادي.. لقد تجاهلت ألمه وجرحه ولكن لم يبد

عليه الانزعاج من الجرح.

سألته بجفاء: «أيؤلمك؟»

ـ ليس مريحاً.

ـ من الأفضل أن ألقي نظرة عليه بعد قليل.

كانت تركز اهتمامها على سكب القهوة الجاهزة في كوبين، وتحاول جاهدة منع يديها من الارتجاف. في خضم قلقها على رجل مريض، نسيت الظروف التي قادت إلى وجوده هنا.. لكن الواقع عاد الآن يواجهها بقوة دفّاقة، غير أنها أصبحت غير قادرة على استعادة الإحساس بالغضب السابق الذي محا كل أثر للخوف منها.

إن هذا الرجل رغم ضعفه شرس المظهر، إنه رجل يبدو ضخماً من كل النواحي، في داخله قوة مكبوتة لا يملكها أي من الرجال الذين عرفتهم.. كان متجانساً مع البراري في الخارج، أكثر من تجانسه مع مطبخ منزلي حميم في كوخ «مورإند».. حاولت كورين باختصار أن تتصور ماذا يعمل وأين يعيش، لكنها وجدت الأمر مستحيلاً، فحوله هالة بدائية، تتحدى أي وصف.. إنه لغز مطبق.

أعادت تفكيرها إلى ما تفعل، ووضعت كوب القهوة أمامه قائلة وهي تشير إلى العلبة:

ـ ثمة سكر هناك إن أردته.. ولدي بعض الأسبرين في مكان ما.. قد يخفف قرصان منه حدة الألم قليلاً.

تمتم باختصار: «شكراً».

لف أصابعه حول الكوب، وكأنه يحس بالامتنان لحرارته، ذكرها عمله هذا بأنه ما يزال مرتدياً القميص الأبيض الرقيق والجينز اللذين كان يرتديهما عندما اكتشفته في السرير.. أكان

هذا منذ ساعتين فقط؟ تشعر بأن دهراً مر عليها منذ ذلك الوقت.

سألته متجهمة: «ألديك كنزة أو شيء ما؟»

لم يكن هذا ما تريد قوله.. ولكنه بدا لها مريضاً، وافترضت أن عليها أن تتركه يحتسي قهوته قبل أن تعود إلى استجوابه.

ـ إنها مع المعطف، أعتقد.

ـ سأحضرها لك.

كانت مسرورة بأي عذر يبعدها عن وجوده المخيف، ولو للحظات.. فهي بحاجة لمثل هذا الوقت لالتقاط أنفاسها، ولاستجماع قواها وأفكارها.

ـ على أي حال سأجلب إليك أقراص الدواء.

دخلت إلى غرفة الجلوس حيثما رأت المعطف لأول مرة، رفعته فاكتشفت كنزة كحلية عالية الياقة. تذكرت قرارها السابق بتفتيش معطفه فقلبت جيوبه بسرعة فوقعت يدها على علبة سكائر وعلى شيء معدني بارد. أخرجت يدها تنظر إلى الشيء المعدني فوجدت أنه قدّاحة محفور عليها الحرفان «ك.. ر».

إنه رجل يحب أن يصيغ ممتلكاته بأحرف اسمه، ويقدم له الناس هدايا غالية الثمن.. هذا هو كريغ. لم تكن قدّاحة رخيصة، وكذا كان حال الساعة الذهبية والخاتم المميز، وهذه الأدلة جميعها لا تنسجم مع فكرتها عنه كلص عادي.. عبست كورين.. كريغ ماذا؟ لم يقل غير اسمه الأول.. وهي لم تجبره على إعطائها المعلومات! كما أنه مدين لها بالنسبة لجرحه بأكثر من هذا.

كورين لايتلتون.. هناك أوقات أشك فيها بسلامة عقلك! ولكنها ستنتزع منه كل شيء الآن.. أقسمت على هذا.. أعادت المعطف مجدداً إلى مسند الأريكة فانزلق أرضاً. لا داعي للتفتيش

فيه، فهو من سيخبرها بكل شيء.. ما هي إلا دقيقتان حتى صعدت إلى فوق لتحضر زجاجة الأسبرين قبل أن تقفل راجعة إلى المطبخ، مستعدة لمواجهة كريغ قبل أن تتلاشى ثقتها بنفسها أو قبل أن تضعف.. لم يُظهر حتى الآن أي ميل نحو العنف، ولكنها رغم ذلك توقفت قبل أن تفتح الباب لتتحسس أصابعها السكين في جيبها.

كان كريغ حيث تركته جالساً وكوب القهوة الفارغ إلى جانبه، وكان غارقاً في التفكير. تلاعبت أصابع يده بالخاتم الذهبي في اليد الأخرى.. هذا على الأقل ما ليست مضطرة للقلق عليه.. فمن الصعب أن يجلس هناك بهدوء لو كان هناك شخص غيره مصاب بحادثة.. هذا إن كان هناك حادثة. تقدمت إليه ووضعت زجاجة الأسبرين وعلبة السكائر قربه.

سألها ينظر بسرعة إلى وجهها المتورد وهي تقف على الجانب الآخر من الطاولة:

ـ ما الأمر الآن؟

ـ هذه.

مد يده إليها يتأملها وكأنه لم يرها من قبل.. وتقطيبة تطوي المساحة ما بين صدغيه.. ثم قال:

ـ لا أفهم ما تقصدين. إنها مجرد قدّاحة سكائر.. قدّاحة ممتازة، لكنني لم أفهم منها شيئاً.

شدت كورين يديها تمنعهما من الانقضاض عليه.. إنه يتلاعب بها مجدداً.. أهي فعلاً ألعوبة بين يديه؟

ـ ما رأيك بهذا؟

انتزعت منه القدّاحة وأدارتها حتى أصبحت الحروف في مواجهة النور.. لامست يدها يده وهي تفعل هذا.. كانت لمسة

أصابعه دافئة على بشرة يدها، فقفزت منتفضة وكأنها لدغت..

قالت بتركيز: «ك.. ر.. كريغ ماذا؟»

ـ وهل هذا مهم؟

ـ أجل، يهم! إنه يهمني.. تباً! أريد أن أعرف اسمك.

ـ لكنك لم تقولي لي اسمك.. مع أنك تظنين أن للأسماء أهمية!

وقف فجأة يدفع كرسيه إلى الوراء بحركة مفاجئة.. ذكرتها حركته بضخامته فارتدت خطوة إلى الوراء.. اتسعت عيناها ذعراً.. ولم تكن مستعدة لاشتعال المشاعر المفاجئة التي ظهرت على وجهه، أو لعتمة عينيه الزرقاوين..

قال بفظاظة: «لا تنظري إليّ هكذا بحق الله.. أنا لن أؤذيك!»

ـ ألن تؤذيني؟ إذن ماذا تفعل هنا؟ لا شيء يستحق السرقة!

تنهد متعباً، ورفع يده ليدلك عضلات مؤخرة عنقه وكأنما يريد بذلك إراحة نفسه من ألم لا يطاق. بدت عيناه ضبابيتين حزينتين.

قال بهدوء: «إذن.. هذا ما تظنين.. لا أستغرب إذن أن نتحدث بلهجتين مختلفتين، ربما من الأفضل أن نبدأ من جديد».

أخذ زجاجة الأسبرين التي أخرج منها قرصين.. راقبته كورين بصمت وهو يتقدم إلى المغسلة ليملأ كوباً بالماء.. لم يكن لديها فكرة عما يجول في خاطره، وهي لا تثق به أبداً.. وترفض أن تترك نفسها تفكر في ألمه. فبهذا قد تشفق، ولقد وقعت في مثل هذا الفخ قبل الآن. تعاظم الصمت بينهما ثقلاً مع مرور اللحظات، لكن ليست كورين التي ستشرح الأمور.

تكلم كريغ: «أعرف كيف يبدو الأمر لك.. لكنني لم أقتحم

منزلك ولا ألومك إن ظننتني لصاً.. اسمعي، ما اسمك؟ هذا إن لم يكن لديك مانع من ذكره».

وابتسم لها بجاذبية مفاجئة، ما أسهل أن تخضع لمثل هذه الابتسامة، ولمثل هذا الصوت الهادىء المتعقل.. حاولت كورين المقاومة. على تفكيرها أن يبقى سليماً.. فهذا ليس الوقت المناسب للعواطف.

ـ اسمي كورين.. كورين لايتلتون.

توقعت أن يبادر إلى قول اسمه كاملاً، لكنه لم يفعل.. بل كرر مفكراً:

ـ كورين.. أتعيشين بمفردك هنا؟

سرعان ما تشنجت وسرعان ما عادت أسوأ شكوكها ومخاوفها تتصاعد بسبب سؤاله وبسبب الطريقة التي تجنب فيها مجدداً ذكر اسمه.

ردت ببرود: «لا.. لا أعيش بمفردي».

ـ هذا ما ظننته.. فتاة جميلة مثلك يختطفها أي رجل بسرعة إن لم يكن أعمى.. ما اسمه؟

ـ من؟

هل سمعت ما سمعته حقاً؟ هل قال جميلة؟ أيتخذ الآن أسلوباً جديداً؟ أيظن أنه قادر على اكتساب ثقتها بالتغزل بها؟ لن ينجح.. انطفأت الشعلة الدافئة التي أحست بها بسبب إطرائه.

ـ زوجك.. أو.. حبيبك.. أو مهما أردت تسميته؟

أقفل دماغها.. من الطبيعي أن تختلق وجود رجل لتدفع هذا الغريب إلى المحافظة على مسافة بينهما.. لكن من الصعب متابعة الإصرار في وجه سؤال آخر.

ـ اسمه رسل.

تحرك كريغ ليأخذ كنزته.. كان اسم قطها أول ما فكرت فيه. توقف كريغ قليلاً، ينظر إليها مفكراً، في عينيه ومبض دافىء فأثار تعبيره هذا رد فعل لم ترحب به في داخلها.

ـ هلا قلت له نيابة عني إنه رجل محظوظ.. بل هو أكثر الرجال حظاً؟.

في الثواني التي كان خلالها يرتدي الكنزة فكرت في كلماته إن كانت تنم عن نيته في الرحيل.. وهذا ما سيرضيها! لكن سؤاله التالي حطم أملها النهش:

ـ أيتأخر هكذا دائماً؟

بللت كورين شفتيها بحثاً عن رد مناسب:

ـ أحياناً.

ـ لو كنت مكانه لما تأخرت أبداً.. الرجل مجنون لأنه يترك امرأة جميلة مثلك في مكان كهذا بمفردها وبلا حماية.

ردت ساخطة: «أنا قادرة على الاعتناء بنفسي!»

ـ أقادرة حقاً؟ أعتقد أنك لا تعرفين كيف تعتنين بنفسك.. لقد أهملت أهم القواعد الأساسية كإقفال الباب بعد خروجك.

ـ ظننته مقفلاً!

انقلب الموقف مرة أخرى رأساً على عقب.. فهي الجانب المجروح في كل هذا.. ولكنه يؤنبها، ينتقد إهمالها.. وهو آخر شخص تتوقع منه هذا.

ـ لا يكفي الظن وحده. كان عليك أن تتأكدي. لم يكن الباب مقفلاً وكان بإمكان أي كان الدخول.

ـ كما فعلت أنت!

ـ هذا صحيح.. كما فعلت أنا.

صاحت به بصوت مرتفع الوتيرة، وكأنه ليس صوتها:

ـ وهذا ما لم تفسره لي حتى الآن.

ها قد عاد ثانية.. لقد عاد حاجبه الأسود إلى الارتفاع وهي إشارة لا تترك عندها أدنى شك في من يسيطر على الموقف.. أحست أنها تؤثر فيه كتأثير نباح كلب صغير على نمر متكاسل يحاول التفكير في ما إذا كان الكلب يستحق أن يثب عليه.. شتتت الفكرة تماسكها.

ـ من أين لك الحق في أن تقول لي كيف أتصرف في بيتي؟ لقد دخلت بلا استئذان، وتصرفت مرتاحاً وكأنك في بيتك، ونمت في سريري..

ـ بالضبط.

أوقفت الكلمة الوحيدة تدفق غضب كورين، وأسكتتها. أنذر الوميض البارد في عينيه الزرقاوين بالشر، وبدأ قلبها يخفق بألم.. ربما قرر النمر أخيراً الوثوب! لم تجرؤ على رفع عينيها على وجهه. دست يديها في جيبي الجينز سعياً إلى قبضة السكين.

قال لها بصوت ملؤه الشر:

ـ أخبريني.. هل ترحبين بأي رجل كما رحبت بي؟ هل تعدين له القهوة، وتضعين فوقه حراماً؟ أهكذا تعاملين عادة الغرباء؟

ـ لا.

ـ إذن.. لماذا؟

خرج السؤال بقوة جعلتها تجفل، فشعرت وكأنها تلقت منه ضربة، تذكرت قرارها السابق في مواجهة هذا الرجل الذي اقتحم منزلها وإجباره على الرحيل.. بدت لقتها بنفسها ساعتئذ غباء. إنها مجنونة لأنها فكرت أنها قادرة على التعامل مع الموقف بمفردها. كان عليها متابعة السير حتى القرية منذ شاهدت

معطفه.. لقد خافت ولكن كريغ الغاضب البارد هذا يختلف عن الرجل الذي بدا لها منذ دقائق.

سألها مجدداً: «حسناً.. ما ردك؟»

ـ أنت.. قلت إنك لست لصاً أو.. أو..

كانت ضحكته جافة ساخرة:

ـ وصدقتني؟ يا إلهي.. ما أشد سذاجتك وبراءتك! إما أنك بريئة وإما أنك حمقاء!

خطا خطوة نحوها، فارتدت إلى الوراء بسرعة، ولكن الجدار كان وراءها.. كان كريغ واقفاً بينها وبين الباب.. ولا مكان تستطيع الذهاب إليه.. اقترب منها ببطء وبدون تردد، وعيناه القاسيتان مثبتتان على وجهها وعلى عينيها البارقتين خوفاً.. أحست بالغثيان وبالإغماء، فقد أضافت معرفتها بحماقتها الذعر في نفسها.. لقد ألقى فخه بحذر وخبث.. هدهدها لتشعر بالأمان وكان أن وقعت كالغبية في الفخ.

صاحت بجنون: ابتعد عني.. لا تلمسني وإلا..

ـ وإلا ماذا كورين؟ تخمشين عيني بيديك الصغيرتين؟ أم تستخدمين تلك السكين التي تخبئينها في جيبك؟

اتسعت عينا كورين وكادت تقسم أن عينيه لم تغادرا وجهها ومع ذلك عرف.. أو خمّن.. فجأة شعرت بالامتنان لقسوة الجدار خلفها، فلولاه لانهارت ساقاها.. تقدم خطوة أخرى.

ـ قلت لك ابق بعيداً عني!

دوّت الصرخة الحادة في الغرفة فتوقف، مفكراً محتسباً.

ـ حسناً كورين.. فلنتوقف عن اللعب.. أظنك فهمت ما أعني.

وعاد إلى مرحه الساخر.

خطف هذا التغيير المفاجيء أنفاس كورين.. ماذا سيحاول الآن؟ نظرت إليه محذرة، ترى بداية بسمة على فمه.. مد يده بلطف يلمس وجهها بظاهر يده يمررها على خدها.

تمتم بعذوبة: «لن تستطيعي استخدام تلك السكين..»

اضطرت كورين إلى مقاومة تعويذة السحر التي كان يحيكها من حولها، صاحت به وهي تنفض يده عنها:

ـ ألم أكن أستطيع؟

ـ ولن تستطيعي استعمالها.

بدا أن شيئاً ما ينفجر في داخلها، فأطبقت يدها على قبضة السكين الخشبية، تشدها محاولة إخراجها من مكانها، فجاء صوته محذراً:

ـ كورين!

ولكنها كانت قد تجاوزت مرحلة الاهتمام.. شدة أخرى وأخرجت من جيبها السكين التي رفعتها عالياً بينهما موجهة رأسها المدبب نحو صدره.

ـ قلت لك لا تلمسني..

شعرت بالانتصار وهي ترى تردده، ثم تراجعه إلى الوراء.

لكن انتصارها كان قصير الأجل إذ كانت ردة فعل كريغ كالبرق الخاطف، وكانت سرعته مذهلة بالنسبة لمثل هذا الجسد الكبير.. استطاع بحركة صغيرة أن يرمي السكين أرضاً. ثم دفعها بعنف نحو الجدار، لاوياً ذراعها وراء ظهرها حتى خشيت أن تنكسر.. رفعت يدها الحرة بذعر مجنون تضربه، ولكن وجدتها مأسورة أيضاً ومتوجهة ببطء لتنضم إلى الأخرى.

سمعت صوته في أذنها، فكاد يخترق الحاجز الأحمر الذي لف دماغها:

ـ اجمدي.. اللعنة عليك! كورين.. اجمدي، لا أريد أن أؤذيك!

استطاعت أن تشعر بثقل جسده القاسي على جسدها وهو يثبتها إلى الجدار.. فأدركت عدم جدوى محاولة الهرب.. فإن قاتلته ازداد غضبه فآلمها أكثر. عندما خفت مقاومتها خفف قبضته، ولكنه لم يتركها.. فهو يعرف قوته ويستخدمها فقط لإبقائها حيث يريد منها أن تكون.

أخيراً، وهي تقف صامتة مرتجفة، أدارها ببطء لتنظر إليه ثم وضع يديه على جنبيها بأسرها بينهما.. رفعت عينيها مذعورة إلى وجهه، ثم أشاحتهما بسرعة.. أخافتها تعابير هذا الوجه..

قال لها متجهماً: والآن.. ربما تصغين إلي..

في تلك اللحظة، اضطربت الأنوار.. وانطفأت.

* * *

٣ ـ مشاعر في الظلام

صرخت كورين لا إرادياً صرخة ذعر، فرنت بخوف في الظلام:

ـ كريغ!

وكأن شخصاً رمى حراماً سميكاً عليها أحست بثقله تقريباً، ولم تعد ترى شيئاً، مع أنها فتحت عينيها بقوة حتى آلمتاها.

مدت يداً مرتعشة إلى حيث كان كريغ أمامها.. ولكن أصابعها لم تلمس غير الهواء الفارغ.. كبتت غريزياً الصوت الذي تصاعد إلى شفتيها، فكل عصب فيها يترقب صوت أو حركة قد تدلها على مكان معذبها المجهول.. هل ذهب، أهرب متستراً بالظلام؟ أم ما زال هنا مختبئاً، منتظراً؟ لم تكن تدري أيهما الأسوأ.. أن تكون بمفردها معمية البصر خائفة في منزل لم يعد آمناً.. أم معرفتها أن كريغ في مكان ما في المطبخ واقفاً بصمت ينتظر أن تتحرك؟

إنها الآن في ظلام دامس، معرضة فيه للخطر من قبل رجل كان يرهبها منذ لحظات.. مع ذلك، ففي اللحظة التي مدت فيها يدها إليه فلم تجده لم تشعر بالراحة بل شعرت بخسارة حادة.

لكن أين هو؟ أما زال بينها وبين الباب؟ إذا تحركت هل ستصطدم رأساً به؟ ليته يتكلم.. أو يصدر صوتاً..

تقدمت ببطء مؤلم إلى الأمام متوجهة إلى حيث الباب.. أنصتت أذناها إلى أقل حركة فإذا بها لا تسمع شيئاً. منحتها الفكرة الثقة مجدداً، فتقدمت خطوة غبية إلى الأمام فاصطدمت بالخشب الصلب، خشب المائدة التي انغرزت في خاصرتها فأبكتها وجعلتها غير قادرة على منع صيحة ألم وخوف.

ـ لا بأس عليك كورين.. أنا هنا.

تناهى إليها صوته هادئاً، وقريباً منها، فخفق قلبها ذعراً.. ولكن نبرة صوته اللطيفة هي التي أعادت أحاسيسها إلى الواقع.. فتسمرت في مكانها متمنية لو بقيت في مكانها لأنه بذلك ما كان ليعرف مكانها.

تحرك كريغ أخيراً، وظنت كورين أنها رأته قريباً جداً منها.. أرادت أن تهرب، ولكن الرعب الذي عاودها شل حركتها.. أفشل الألم في خاصرتها آخر محاولة.

سأل كريغ بعذوبة: «كورين؟»

انتفضت بعنف عندما لامست يده ذراعها. من السهل التخلص منه ولكنها لم تستطع أن تتحرك.. ارتفعت يده تتلمس خدها ثم سمعت لعنة خفيفة منه لأنه شعر بالبلل الذي تسببه دموعها.

كرر النداء بصدمة غير المصدق: «كورين!»

التفت ذراعه حولها فارتاعت حتى كاد قلبها يتوقف عن الخفقان، ثم عاد إلى الحركة بقوة جعلتها لا تكاد تتنفس.

ـ يا طفلتي العزيزة.. إنه انقطاع في التيار.. لا شك أن الثلج قرّب الخطوط من بعضها بعضاً في مكان ما.. لا شيء يدعو للخوف!

أرادت أن تصيح به: هناك أنت! لكنها لم تستطع إخراج الكلمات لأن حنجرتها كانت مغلقة بالذعر. أبعد لطفه المفاجيء

كل فكرة عن رأسها ولكنه لم يبعد الخوف الذي ضاعف من اضطرابها. أحست بدفء ذراعيه. ولأنه لا يستطيع رؤيتها رغبت في الراحة التي يسببها لها دفئه بطريقة لا دخل فيها لخوفها من الظلام فقط.

ارتفعت يداها لتدفع صدره عنها بيأس، متوقعة أن تزداد حدة قبضته، ولكنه تركها فوراً ولم يحاول منعها.

ـ لست خائفة من الظلام وحده.. صحيح؟

أجفلتها كلماته الهادئة وجعلتها تستعد للقتال..

كانت أحاسيسها تصيح بها «أن اهربي» وتخبرها بأن الخطر موجود في كريغ نفسه، لا في انقطاع التيار الكهربائي.. لكن.. كان هناك شيء مجنون يقول لها العكس، إذ شعرت بالأمان بين ذراعيه.

تمتم كريغ، بصوت مضطرب قليلاً:

ـ لم أقصد أن تصل الأمور إلى هذا الحد.. أردت منك فقط أن تفكري.. كنت معرضة للخطر بسبب افتقارك إلى الحماية. كان عليك استدعاء الشرطة حالما وجدتني، ولكن عوضاً عن ذلك دثرتني لأشعر بالدفء بإيماءة مجنونة.. لا يمكنك أن تتصوري ما أحسست به عندما استيقظت فوجدت الحرام حولي! ثم هرعت تحضرين لي الأسبرين، وحملت إليّ كنزتي لئلا أشعر بالبرد..

قاطعته بضعف، مرتبكة بسبب التغيير المفاجيء:

ـ كنت مريضاً.

ـ ربما كنت كذلك.. ولكن هل ستقدمين منزلك لكل كلب شارد يتقدم إليك؟ أحذرك كورين.. في يوم ما، سيأتي شرير شرير يتقلب عليك ليعضك.

ـ كنت بحاجة إلى مساعدة.

أمسكت يده ذراعها بقسوة:

ـ ماذا أفعل لتفهمي؟ كورين، أيتها البريئة الحلوة، أنت لا تعرفينني! لا تعرفين شيئاً عني! لماذا لم تبلغي الشرطة عني عندما وجدتني؟ لماذا لا تفعلين هذا الآن؟

أنذرها الجزء العاقل الباقي من تفكيرها بأن أسوأ ما قد ترتكبه هو أن تكشف لكريغ عدم امتلاكها هاتفاً.. فيما الجزء الآخر العاطفي همس بأن عليها ألا تخشى شيئاً لأنه طلب إليها أن تستدعي الشرطة ولكنها لم تكن مستعدة للشعور بالراحة الذي حملته إليها هذه الفكرة.

صاحت بدهشة: «لا يمكن أن تقصد هذا!»

حاولت عبثاً رؤية ما على وجهه من تعبير.

أجابها بالصوت الهادىء ذاته:

ـ ولماذا لا أقصده؟ هذا ما توقعته كورين عندما استيقظت. آمنت حقاً أنني سأجد الشرطة بانتظاري في أسفل السلم، ولكنني وجدتك أنت بدل ذلك.. ولا أعرف كيف أتعامل معك! اللعنة!

أحست كورين فجأة بالامتنان الشديد للظلام الذي أخفى ارتباكها، وكتلة العواطف المتشابكة التي تعرف أنها مرسومة على وجهها.. لا تصدق أن كريغ هذا هو الشخص الذي دفعها إلى رفع السكينة في وجهه.. وكأنه منذ دخل إلى المطبخ تحول إلى ثلاثة أشخاص مختلفين، كل منهم أخطر من الآخر بطريقة مختلفة.. وها هي لا تعرف من منهم يمثل الخطر الأكبر.

ماذا تفعل؟ لماذا لا تقاتله؟ أو على الأقل لماذا لا تبذل جهداً للخلاص؟ لأنها لا تريد.. جاء الرد بتأكيد صدمها وجعلها تحس بالبرد في جميع أطرافها.. هذا خطأ.. هذا غباء، لكنها منجذبة إليه، منجذبة إلى الراحة التي يوفرها لها قربه منها.

لكن كريغ يعني الخطر، لا الأمان. فهل تثق به؟

قالت بغظاظة: «أظنك تتصرف معي بشكل جيد».

صرخت بحدة بعد ما أطبقت يداه على كتفيها، وحفرت أصابعه القوية في لحمها الطري، فآلمتها.

ـ كورين!

لم يكن احتجاجه ضحكاً أو تأوهاً بل هو بين بين.

ـ آه! لم تصغي إلى كلمة مما قلته. تجعليني أتمنى لو تركت المكان حالما صحوت. الواقع أن هذا ما خططت له، وكنت سأفعل لولا شعوري بالفضول إلى التعرف إلى من وضع ذاك الغطاء عليّ.. كان من الأفضل لو خرجت.. ما كان عليّ البقاء وعليّ أن أذهب الآن.

كانت آخر كلماته همساً وكأنما لنفسه.. ابتعد عنها بلطف ولكنها شعرت بعيداً عن دفئه بالحرمان، وبالوحدة، وبشعور لم يسبق لها أن شعرت بمثله. وكأن العالم الذي لا تراه الآن توقف عن الوجود، ولم يعد فيه سواهما. كانت قوة كريغ وحدها الشيء الحقيقي الملموس في الظلمة. لقد قال لها إنه كان عليها استدعاء الشرطة ولم يكن خائفاً مما سيحدث في ما لو فعلت وهو الآن على وشك أن يرحل بدون أن يؤذيها أو يؤذي بيتها.. وهذا يكفيها.

صاحت بحدة، تمسك ذراعه: «كريغ.. لا!»

تحرك كريغ وكأنه يريد إبعاد يدها عنه ثم تسمّر في مكانه منتظراً.. بعد قليل سألها بصوت جاف مشدود:

ـ وماذا عن رجلك.. رسل؟ ماذا لو جاء وأنا هنا؟

لم تتردد.. لو كان هناك بصيص نور، لو استطاعت رؤية وجهه لتمكنت من الكذب ولكنها في هذا الظلام أحست أنها غير

قادرة على قول شيء..

قالت بثبات: «لا وجود له.. لقد اخترعته».

خالته لم يسمعها، ولولا الدفء والقساوة تحت أصابعها لآمنت أنه رحل.. كان صامتاً صمتاً مطبقاً، وأحست بعضلات ذراعه تشتد وتبدأ بالابتعاد عنها.. ولكنه توقف، وارتد إليها مجدداً. وجدت كورين أنها تكاد لا تستطيع التنفس.. وتمنت بيأس لو ترى وجهه.

قال ببطء: «حتى يرجع النور مجدداً.. مجرد هذا.. ثم أذهب».

ـ هذا فقط.

لم تكن مستعدة لتأجج السعادة التي لا علاقة لها بالراحة التي تصاعدت إلى كيانها.. مدت نفسها إليه بتهور تحتضنه بدفء وامتنان.

لم ترد أكثر من هذا وكادت تتحرك مبتعدة ولكن ذراعيه التفتا بردة فعل سريعة حولها، تثبتانها عليه.. كانت لمسته خفيفة في البداية ولكن ضغطها زاد بطريقة أخرجت تمتمة استجابة من شفتيها.

همست اسمه: «كريغ».

رفعت وجهها، في اللحظة التي أخفضه فيها ليتعانقا بشكل بدا لها طبيعياً كالتنفس.

عرفت أنها لا تريد الابتعاد، وقابلت عناقه بأشد منه، تلمست خطوط كتفيه وتشابكت أصابعها في شعره الأسود الكثيف.

ثم تأوه: «هذا جنون!».

ردت عليه متأوهة أيضاً، وكأنها توافقه الرأي بصمت. إذا كان هذا جنوناً فهي تدعو الله ألا يرد لها عقلها.

لم تمر أمرّ لحظات أم دهراً كاملاً.. لم يكن لديها فكرة في ما إذا كان صوت من الخارج قد اخترق العالم السحري الصغير الذي كان يلفهما.. ولكن فجأة، تغير مزاجه وأطبقت أصابعه على ذراعيها بلمسة جديدة مختلفة.. يبعدها عنه بحزم.

قال بفظاظة: ماذا تفعلين بي بحق الله؟ كورين على هذا أن يتوقف فوراً!

أحست به يبتعد عنها، يفتش عن شيء في الظلام.. ثم لمعت القداحة وهو يشعل سيكارة جعلها بريق شعلتها ترى وجهه قاتماً قاسياً.. وجهاً غريباً ثم ما لبثت أن حلت العتمة عليه مجدداً.

لم تستطع أن تفهم لماذا سمحت لهذا الرجل المخيف الغريب بأن يضمها ويعانقها هكذا؟ ولكنها أرادت هذا! لقد دخلت إلى ذراعيه طواعية وكأنها تعرفه طوال حياتها، كما عرفت هانك.. وأجفلت.. لأنها لا تريد التفكير في هانك.. قبل أسابيع فقط وقفت في كنيسة ابرشية «برادفورد» كضيفة شرف في زفافه إلى جاكي، تفكر في أن قلبها مات وفي أنها لن تحس بشيء تجاه رجل بعد ذلك. ولكنها لم تفكر في هانك وهي بين ذراعي كريغ، بل تجاوبت معه ببساطة. كانت ضائعة، وحيدة في عالم أصبح فجأة بارداً عدائياً.

كريغ لم يفعل شيئاً غير معانقتها.. صحيح أن لا أمان في عناقه ولكنه أيقظ فيها شوقاً فشلت محاولات هانك في بعثه فيها.

أحست كورين بأن كريغ يكلمها ولكنها لم تسمع كلمة مما قاله، فهزت رأسها تجلوه:

ـ آسفة.. ماذا قلت؟

ـ نحتاج إلى نور. لا بد من وجود مشعل يدوي أو شموع؟

لزمتها فترة صغيرة لإشعال الكمية الصغيرة التي عندها من

الشموع التي سرعان ما رفع نورها ستار الظلام.. ولكن مع اختفاء العتمة اختفت الحميمية الغريبة التي تشاطراها. وعاد كريغ ذلك اللغز الغريب المثير للاضطراب.. تركت ردات الفعل كورين ضعيفة، فاستندت إلى الطباخ، ثم ابتعدت عندما شعرت بحرارته.

سألت، لمجرد ملء السكوت:

ـ هل أنت جائع؟ لقد أعددت طعاماً في الفرن، ويجب أن يكون جاهزاً الآن.

أشعل كريغ شمعة أخرى وهو يرد:

ـ تناولي طعامك.. لا يمكنني أخذه منك.

ـ لكنك قلت إنك لم تتناول طعاماً منذ مدة طويلة! وأظن أنني طهوت ما يكفي اثنين.

أدار رأسه إليها يتأملها بدقة فترة طويلة. بدا أن لا قرار لعينيه تحت ضوء الشموع.. ثم وعن غير توقع منها ضحك فبدد التوتر الذي كان ملموساً.

قال بسخط وابتسامة على شفتيه:

ـ كورين لايتلتون.. لا يمكن تشجيعك على شيء! بعد كل ما قلته ما زلت تثيرين الضجة حولي كدجاجة تحمي فراخها.. أنت فعلاً سيدة مجنونة!

ـ حسناً.. أما أنت فلا تبدو شخصاً كان يعتني كثيراً بنفسه! أنت نحيل جداً.. وتبدو وكأنك لم تتناول وجبة لائقة منذ أسابيع.

تجهم مزاج كريغ فجأة وتلاشت الابتسامة عن وجهه بسرعة. ثم قال:

ـ أعتقد أن عليّ الاعتراف بذنبي.. سيدتي!

ظل صامتاً. الواضح أنه كان غارقاً في أفكاره، وهي أفكار مزعجة مثيرة للاضطراب، غير مرحب بها.. حكماً على التغطية

الحادة التي علت وجهه.. ثم حرك كتفيه متعباً.. وأجبر ابتسامة على الظهور.

- إذن، إذا كنت جادة بعرضك الطعام، فلن أحاول الرفض.

- سنأكل في غرفة الجلوس.. ففيها نار متقدة وستكون أدفأ من هذا البراد.

أقسمت: بعد أن نأكل سأعرف كل شيء عنك، ولن توقفني هذه المرة.

لم تكن هذه أسهل الوجبات. كانت كورين كثيرة التوتر وهي تتذوق الطعام الذي كانت تمضغه وتبتلعه آلياً.. كان رأسها يدور في دوامة من الأفكار غير المنتظمة أو المترابطة.. من هو كريغ؟ وما هو السبب الذي يدفعه إلى كتمان اسمه؟ كلما اقتربت من معرفة شيء ما كان يغير دفّة الحديث، وكانت غبية لأنها تركته يلهيها بأسئلته.. ارتفعت عيناها إلى الطيف القائم للجالس على الطرف الآخر من المدفئة. ازداد توترها وهي ترى نقطية انشغال البال على وجهه.. الواقع أنه اعترف أنه لم يتناول طعاماً منذ مدة، إلا أنه لم يأكل جيداً، بل لم يكد يمس الطعام الذي في طبقه.. لكنها رأت هذا الجانب منه قبل الآن.. وأرادت منه أن يعانقها، وكانت ستجن لو لم يفعل.

فجأة صدرت خشخشة عن الأريكة، ووثب جسد ناعم رشيق سنوري حط على الأرض بخفة. سرعان ما ارتد كريغ مجفلاً.

- ما هذا؟

لم تستطع كورين كبح ضحكتها التي تقارب الهستيريا.. بعد مضي وقت طويل من التوتر، أحست أنها بحاجة إلى الضحك أو إلى الصراخ.

سألها بحدة: «كورين؟ كورين.. ماذا..»

شهقت تلتقط أنفاسها من الضحك: «رسل.. إنه رسل».

- رسل؟ لكنك قلت..

نظر إلى الباب في الوقت المناسب فرأى طرف ذيل يختفي خلفه.. أعادت النظرة التي على وجهه كورين إلى القهقهة بقوة.

- سألتني إن كنت أعيش هنا بمفردي.. وقلت لك الحقيقة.. قلت إنني أشارك الكوخ مع كائن يدعى رسل.

- لكنك أغفلت بمكر ذكر أن رسل قط!

أحست كورين بالراحة وهي ترى ابتسامة مسحت النظرة المرتبكة عن وجهه.. لم تتساءل هذه المرة عن سبب شعورها بالسعادة. فجأة تلاشى اللون من وجه كريغ، الذي رفع يده إلى جرحه..

قالت: «يجب أن ألقي نظرة عليه.. ألا يؤلمك؟»

رد بفظاظة:

- سأعيش.. ولكن لا أظن أنه سيتضرر إن نظفته قليلاً، الجرح غير عميق.. الكدمة هي التي تظهره بهذا السوء.

لم تقتنع: «إنه ملفت للنظر».

ماذا ستفعل إن مرض؟ إنها لا تعرف كيف أصيب؟

- كيف أصبت به؟

انسلت الكلمات المتهورة منها، وسرعان ما عضت على شفتها بقوة، متمنية استعادتها.. قوت نفسها بانتظار الرد. لكنه لم يرد.. كان وجهه غارقاً في التفكير، ولكنه لم يبدُ عدائياً وهو يدفع عنه طبقه، ويأخذ سيكارة يشعلها ويشد أنفاسها بعمق قبل أن يتكلم.

- لا بأس كورين.. لن أقطع رأسك بسبب السؤال.. إذا كان هذا ما يقلقك.. في الواقع كنت سأثير الموضوع بنفسي.. فأنا

أدرك أنني مدين لك بتفسير ما.. كنت صبورة معي، ولم تدفعيني لكنني لا أستطيع ترك الأمور على هذا النحو.. يجب أن أخبرك ما أعرفه.

علمت أن ارتباكها ظاهر على وجهها.. لكنها لم تحاول أن تخفيه.. كانت تحاول التمسك بالكلام الذي بقدمه لكنه ظل يتسلل خارجاً من رأسها مبتعداً عن منالها.

ـ لا تقول كلاماً مفهوماً، وأنا لا أفهمك، لا أدري إلى ما تريد أن تصل.. وأتمنى أن تتوقف عن هذا!

جلس في مقعده فجأة رامياً سيكارته بعنف إلى النار:

ـ كورين، بالله عليك لا تصعبي عليّ الأمر. أنا لا أتلاعب بل أحاول أن أخبرك أنه ليس لدي ما أقوله.

فرك عينيه بظاهر يده دلالة تعب وارتباك، ثم استدار ليحدق عميقاً في قلب النار وكأنما يسعى للإلهام.. أحست كورين فجأة ببرود.. ما هو الذي يتردد كثيراً في البوح به؟ فجأة تمنت لو أن هذه الدقائق الأخيرة لم تكن.

بدا أن كريغ قد توصل إلى قرار، إذ التفت إلى كورين التي ارتجفت بسبب الكآبة البارزة في عينيه..

قالت متوترة: «كريغ..»

لكن الكلمات ماتت على شفتيها بسبب النظرة التي كانت على وجهه..

قال كريغ أخيراً، والكلمات تكسر الصمت بعنف:

ـ لا أتذكر شيئاً.

* * *

٤ ـ أرجوكِ سامحيني!

كانت ردة فعل كورين غبية إذ عمت الراحة الغامرة نفسها. تصورت أشياء كثيرة.. أشياء مخيفة، جرفتها إلى ما يقارب الدمار لمجرد التفكير فيها، لذا بدت الحقيقة مريحة بالمقارنة.. فسرت كلمات كريغ الكثير من الغموض.. كل شيء بدأ يتضح بدءاً من مسألة الساعة الغريبة ومن التغيير السريع المستمر للموضوع.

لكن، هل هذا كل شيء؟ كادت تقول له هذا، ثم صمتت بعدما استقرت مضامين ما قاله في رأسها.

ما قاله لها كريغ غيّر كل شيء، ومع ذلك لم يغير شيئاً البتة. فما زالت تجهل من هو، وما زالت تجهل إن كان قد دخل منزلها بقصد السرقة، أو التهجم.. قد يكون قاتلاً، مجرماً، أو إنساناً صالحاً. ولكنها لن تعرف، ولن يستطيع هو مساعدتها.. إن ما فيه غامض بالنسبة له بمقدار ما هو غامض بالنسبة لها.

ـ أمر مخيف.. أليس كذلك؟

اقتحم صوت كريغ أفكارها.. كان يراقبها بصمت، يلاحظ تلاعب العواطف المتسارع على وجهها.. تساءلت كورين بجد إن كان قادراً على قراءة أفكارها.

ـ لكن ماذا حدث؟ هل حصلت حادثة؟ هل أصيب أحد

غيرك؟

هز رأسه بارتباك: «أتظنين أنني لم أسأل نفسي هذا السؤال؟»

ـ ألا تذكر شيئاً أبداً؟

ـ القليل.. أذكر أنني كنت ملقى على الثلج.. لا بد أنني وقعت من مكان ما.. وهذا على الأرجح ما سبب الجرح.

ولامس جبهته:

ـ وربما كنت فاقد الوعي بعض الوقت.. لا أدري.. ولا أظن أن أحداً كان معي.. كنت بمفردي عندما استيقظت.. بعد ذلك سرت ما بدا لي ساعات. ولم أكن أعرف إلى أين أذهب.. كل ما عرفته أنه عليّ الاستمرار.. ثم رأيت المنزل، ورأيت النار فعرفت أن المكان مأهول.. ولم أشأ اقتحامه.

نظر إليها نظرة متعبة معتذرة، فتوردت قليلاً لأنها تذكرت كلماتها الغاضبة.. حيرها سرد كريغ للأحداث بطريقة خالية من المشاعر وكأنها حصلت لشخص آخر. كيف يستطيع المزاح في شيء كهذا؟ ثم، وقد التقت عيناها عينيه أخيراً، رأت ناراً قاتمة تشتعل فيهما، وعرفت أن السيطرة التي يمارسها على نفسه غير طبيعية.

ـ أهذا كل شيء؟ لا تستطيع تذكر شيء آخر؟

عبس كريغ الذي كان ينظر إلى الظلام.. ثم قال ببطء:

ـ قرعت الباب، فلم أتلق جواباً. لا أدري ما الذي دفعني إلى تجربة الباب. أعتقد أنني كنت يائساً.. وكنت على استعداد للقيام بأية محاولة.. ولم أصدق حظي عندما انفتح فعلاً.. بعد ذلك لا أذكر جيداً ما فعلته. كل ما أعيه هو أنني استيقظت في ذلك السرير فوق.. كان معي حقيبة.. كنت أحمل حقيبة.. هل أدخلتها معي إلى هنا؟

قالت بهدوء: «لم أجد حقيبة.. ما شكلها؟»

أغمض عينيه يحاول تصور المشهد في رأسه، كان تركيزه شديداً فآلمها مجرد النظر إليه.

ـ سوداء.. على ما أظن، من الجلد.. ليست حقيبة ملابس بل هي من النوع الذي يأخذه المرء معه لقضاء عطلة أسبوعية.. هذا ليس بالكثير.. أليس كذلك؟

ـ لكنه دليل قد يذكرك بشيء، لو كان هناك غيرك مصاب لما التقطت حقيبتك وسرت مبتعداً.. بل لرغبت في الحصول على مساعدة في أسرع وقت ممكن.

ـ لكنني لا أعرف عن هذا شيئاً!

ـ قلت إنك استيقظت فوجدت نفسك مستلقياً على الثلج.. وأنك وقعت.. وصدمت رأسك.. إذن ليس هناك حادث سيارة أو أي شيء آخر.. أنت لم تشاهد سيارة.. هل شاهدت شيئاً؟

هز رأسه ببطء.. بدت عيناه متورمتين، فارتجفت كورين لأنها هي التي تفكر بصفاء يكفي لتكون مسيطرة على الموقف.. وهذه مسؤولية مخيفة، ليست واثقة أبداً من قدرتها على التعامل معها.

ـ لا بد من وجود طريقة لتعرف المزيد.. ماذا عن معطفك؟ قد نجد فيه محفظة.

تحركت لتجلب المعطف ولكنه وصل إليه قبلها وعاد به إلى قرب النور المنبعث من النار، وأخذ يفتش جيوبه.. ظلت عينا كورين ثابتتين على يديه، لا تريد رؤية تعابير وجهه. في المحاولة الثانية، لاحظت توتراً على جسده، لا شك أن يده لامست شيئاً.. ولكنه لم يتكلم بل جذب هذا الشيء ومده في راحة يده، مفاتيح سيارة.

قال ببطء: إذن.. كان هناك سيارة.. لكنني ما كنت لأقفل الباب على شخص مصاب في داخلها، وأضع المفاتيح في جيبي، وأبتعد.. هذا مستحيل..

أطبق يده بحركة غاضبة على المفتاح.

- يا إلهي ليت النور يعود!

شيء ما التوى في قلب كورين لكلماته.. تفهم نفاد صبره، والحاجة إلى فعل ما قد يساعده على اكتشاف هويته.. ولكن أهذا كل شيء؟ أهو ملهوف لعودة التيار الكهربائي كي يتحرر من وعده بالبقاء هنا؟

أعلن فجأة: «سأبحث عن الحقيبة».

وتحرك ليقف.. لكن شحوب وجهه دفع كورين إلى التحرك أمام كرسيه:

- آه! لن تفعل.. لن تذهب إلى أي مكان حتى أهتم بهذا الجرح.

صاح متوتراً:

- كورين.. لا تفتعلي الضجة.. على رأسي كدمة ليس إلا.. ولقد مررت بأسوأ من هذا ونجوت.. تقريباً.. أعتقد أنني نجوت من أسوأ منها.

ولكنها لم تنزحزح ولم تخدعها محاولة المرح، فتعابير وجهه كانت بعيدة كل البعد عن المرح.. ظالما هو جالس فهي على الأقل ولو مؤقتاً قادرة على السيطرة.

قالت بعنف: «كريغ.. لا تكن أحمق.. كان يجب أن ينظف هذا الجرح منذ ساعات.. وما قلته لي لتوك، يجعله أكثر من مجرد كدمة على الرأس.. لقد أفقدك ذاكرتك».

- لا أحتاج إلى من يذكرني بهذا.

أحست بالراحة لتراجعه في كرسيه. الواضح أنه تخلى عن نيته في التفتيش عن الحقيبة المفقودة..

- سأحضر ماء ساخناً، وبعض المطهرات.. لا تتحرك!

رد بمرح: «حاضر، أيتها الممرضة!»

ولكنه لم يبتسم.

توقعت كورين عندما عادت إلى غرفة الجلوس أن تجده قد غادر مكانه.. ولكنه كان جالساً بالضبط حيث تركته ينظر إلى الظلام. بدا وجهه متعباً شاحباً، وكتفاه منخفضتان بتعب، وكأنه ما إن خرجت من الغرفة حتى تخلى عن تمثيله المتقن الذي كان يمارسه من أجلها، واعترف بالضعف الذي رفض إظهاره حتى الآن.

- كريغ!

كان نداؤها القلق مجرد همسة ولكنه سمعه وأدار رأسه بجهد مخيف من رجل كان يبدو منذ لحظات قوياً، مسيطراً على نفسه. رفع كتفيه وأجبر نفسه على الابتسام.. من المفترض أن تكون ابتسامة تدفع إلى الاطمئنان لكنها أعطت التأثير العكسي.

- حملت إليك المزيد من الأسبرين.

ناولته الأقراص بارتياك وقاومت لتدعي الهدوء والثقة.. فلن يفيدها أن تظهر مخاوفها.

- لو أسندت رأسك إلى الخلف.. ووضعت أنا الشمعة هنا، لتمكنت من رؤية ما أفعل.

كانت تحرق الشمعة وهي تتكلم غير قادرة على النظر إليه، تريد أن تمهله الوقت، لأنها تشعر غريزياً بأنه يكره أن يعرف أنها رأت شيئاً من خلال تمثيله المتقن.. أرجع رأسه إلى الوراء وقال:

- أرى أنني لن أستريح قبل أن تقومي بدور ملائكة الرحمة.

ابتسمت كورين للهجته الساخرة.. لقد عاد إلى طبيعته الآن، أو على الأقل إلى ما تعرفها منه.

غمست بعض القطن في قصعة ماء ساخن، ثم توقفت قلقة، مترددة أن تلمسه.. أحست أن يديها فقدتا براعتهما، وهي خائفة أن تؤلمه.. ولكن هناك شيء آخر.. شيء أطاح بكل قراراتها السابقة، وتركها حائرة مرتبكة.

قال بحدة وهو يدفعها إلى العمل:

ـ حسناً.. هيا.

بدا الجرح أبشع عن قرب.. غسلته بلطف، ثم مسحت الدم الجاف.. تلاشى كل توترها بسرعة، وأبعدته عن رأسها بسبب قلقها عليه.. كان كريغ مستلقياً باستسلام تحت يديها.. عيناه مغمضتان.. ألمها انقياده السهل أكثر من مزاجه العدائي.. وعبست بخوف وهي تلمس البشرة الدافئة بأصابعها. كان شعره الأسود قد استرسل على جبهته معيقاً حركتها، فأبعدته جانباً بخفة.. ولكنها شعرت بإحساس غريب، وكأنه صدمة كهربائية تسري في ذراعيها. وفيما كانت واقفة خلفه تنظر إلى وجهه، كانت تعي بشدة مدى عرض عظام خديه، الطريقة التي تسترخي فيها أهدابه وكأنها هلال أسود على بشرته السمراء.. اضطرت إلى التوقف قليلاً، لتستجمع أفكارها ولتهدىء يديها المرتجفتين.

كان كريغ محقاً فالجرح غير عميق وسيشفى مع قليل من الحظ بسرعة ما إن تختفي الكدمة.

ـ يجب أن يراك الطبيب.. فقدان الذاكرة أمر كريه.. ولا أعرف حقاً ما أفعل لك.. لو كان لدي هاتف لطلبت المشورة على الأقل.

اتسعت عيناه.. نظر مباشرة إلى وجهها، فاختفى اللون من

وجهها بعدما أدركت ما قالت..

قال بغضب: «إذن، لهذا لم تتصلي بالشرطة!»

ـ لم يكن هذا هو السبب فقط.. فأنا..

كيف لها أن تفسر له مشاعرها؟ كيف تصوغ بالكلمات ذلك الإحساس غير المعقول والمستحيل تفسيره، والشفقة التي أحست بها عندما سمعته يهذي في منامه؟

تمتم بعذوبة: «أتساءل عما إن كنت سأفهمك يوماً».

مد يده يمسك يدها حيث وضعتها على ظهر المقعد، فوق كتفه.. وأكمل وهو يفكر عميقاً:

ـ أنت سيدة رائعة.. فريدة من نوعها.

أخذت أصابعه تتلمس ظهر يدها بنعومة..

ـ لا.. لست هكذا.. لا يمكنك قول هذا.. أنت لا تعرف أحداً قد تقارنه بي.. ولو استطعت لوجدت أنني امرأة عادية جداً.. و..

صمتت من فرط الارتباك.. وحاولت شد يدها منه ولكنه تمسك بها. شد يدها ببطء وإصرار نحوه حتى اضطرت إلى الدوران حول المقعد لتصبح إلى جانبه، ثم اضطرها للركوع أمامه، ويدها مأسورة بين يديه..

هز رأسه ببطء شديد: «لست عادية.. ولا يمكن أن تكوني.. أراهن أنك سيدة غير عادية لم أرَ قبلها قط».

رفع يدها إلى شفتيه ليطبع عليها قبلة.. ثم طوى أصابعها إلى راحة يدها يضمها بحزم وكأنما يريد أن يبقي تأثير القبلة فيها.

قالت كورين مرتبكة: «كريغ.. أرجوك».

ارتفعت عيناه الزرقاوان المشعتان إليها:

ـ أرجوك نعم أم أرجوك لا؟ أريد أن أضمك، والسؤال هل

تسمحين لي؟

لم تستطع الرد عليه.. وكيف تستطيع وهي لا تعرف ما تريد أن تقول؟ كان حلقها جافاً، وتشك في أن صوتها قد يخرج إن حاولت الكلام. عرفت أن عليها قول لا.. وعرفت أن من الخطر أن تقول نعم.. ولكنها لا تريد أن تقول أياً من الكلمتين.

ترك كريغ يدها ولكنها لم تتحرك، مع أنه لم يكن يسمرها إلا بقوة عينيه الزرقاوين.. وكان لكورين أشدّ الأحاسيس جنوناً فقد شعرت بأن عقلها لم يعد في جسدها. بل أصبح فوقه يراقب بدوار ضبابي تقدم كريغ إليها.

تقبلت كريغ عناقه باستسلام.. خدّر الإحساس الكسول الذي ملأ نفسها عقلها وتركه غير قادر على التفكير.. أحست أن جسدها ثقيل.. وواهن.. مع ذلك بدا أنه يطفو وأن رأسها يسبح ويسبح حتى اضطرت إلى إغماض عينيها أمام دوران الغرفة المجنون المفاجيء.. وكأنما الدنيا تدور كلها حولها.. ترنحت قليلاً، وأحست بذراعيه القويتين تشتدان حولها، ترفعانها إليه.. وعرفت أنها بدون دعمه لها ستسقط.

قال كريغ وهو يخرج كلماته ببطء:

ـ ما أنت؟ نوع من الساحرات؟ أقسم أنك سحرتني.. لا أعرف من أنا، مع ذلك واثق أنني سأندم على هذا في الصباح.. لكن ذلك غير مهم. لا شيء مهم الآن غير وجودك هنا وذراعاي حولك.. كورين!

اشتدت أصابعه على شعرها وانحنى رأسه إليها. لم يكن في عناقه لطف، بل لهفة شديدة أجبرتها على الإذعان إليه.. تلاشت مشاعرها غير الواقعية وشعرت بموجة أخرى أجلت الضباب من رأسها، وحل مكانه إحساس جديد بنفسها، وبكريغ.

رفع رأسه قليلاً وفي عينيه شيء من القلق.. كانت نظرة ملؤها الحذر.. لكن كورين تجاوزت مرحلة الاهتمام بما يفكر بل لا تريد منه أن يفكر.. تريد أن يضمها إليه حتى تستعيد الإحساس بالسعادة التي كادت توقف قلبها منذ قليل.

ـ يا رب العالمين!

أزعجت صيحته المخنوقة أعصاب كورين.. ووصلت إليها حتى عبر الضباب الذي ملأ رأسها.. ابتعد عنها بسرعة ولكنها لم تدرك أنه ابتعد إلا بعد وقت..

ظلت للحظات مسمرة وعيناها مفتوحتان دون أن ترى شيئاً. ثم عادت إلى الجلوس أرضاً، ووجهها شاحب ألماً وصدمة.. كان كريغ جالساً على الأرض مثلها، جامداً تماماً، يضع رأسه على ذراعه فوق عينيه، وكأنه يخفي وجهه عنها، نظرت إليه طويلاً بصمت.. لقد استجابت لهذا الرجل كما لم تستجب إلى أحد من قبله، حتى لهانك.. تحرك كريغ، يمرر يده في شعره.. كان صوت تنفسه المضطرب الصوت الوحيد في الغرفة.. جعلتها عيناه المنفرستان بشدة، تشيح بوجهها عنه..

قال بجهد: لا تعرفين كم أشعر بالندم على هذا.. صدقيني أنا لا أفقد السيطرة على ذاتي هكذا عادة.. وأعتقد أن الضربة على رأسي هي التي أثرت فيّ.

صدر عن حلق كورين صوت صيحة مخنوقة وشعرت بالإذلال، وبألم مرير وبنزف في أعماقها.. كان كريغ خجلاً مما كاد يقدم عليه وكره نفسه على افتقاره إلى السيطرة.. ولكن لم يكن الأمر هكذا بالنسبة لها! أحست بالخزي وبالعار.. ثم أحست بالغثيان.

قال كريغ: «كورين.. انظري إليّ.. أرجوك».

رفعت عينيها لا إرادياً متوقعة أن تراه إنساناً آخر.. انقلب إلى نوع من الوحوش البشعة.. ولكن، لم يحدث هذا.. بدا متوتراً غير مستريح تزيد عضلات وجهه من حدة قسماته ولكنه لا زال كريغ الذي تعرفه.

أحست بيد قاسية تعصر قلبها.. إنه كريغ.. لكن، من هو كريغ؟ إنه غريب بالكامل وكأنه إنسان وفد عليها من كوكب آخر. إنه رجل لا تعرف عنه شيئاً.. بل تعرفت إليه منذ ساعات قليلة.. مع ذلك وفي لحظات رفعها إلى قمم لم تكن تعرف أنها موجودة.. وإذا رأته مجدداً بعد هذه الليلة.. فما عليها سوى أن تنظر إليه لتتذكر الطريقة التي يمتلكها لجذب روحها من جسدها.

قال بصوت خفيض: «سامحيني.. لن يحدث هذا مجدداً».

رفع يده يبعد خصلات شعرها عن وجهها، فأجفلت مبتعدة عن لمسته، فما زال جسدها الغادر قادراً على الاستجابة بلهفة. حولت قسمات وجهها بحذر إلى قناع متحجر وقالت بجفاء:

ـ لا تلم نفسك.. لم يحدث شيء.

دلّك عضلات مؤخرة عنقه بتعب، ثم قال:

ـ ماذا تريدين أن أقول؟

ـ لا شيء! أظن أنه من الأفضل ألا تقول شيئاً.. على أي حال لم يحدث شيء.

أكان هذا الصوت البارد القاسي صوتها؟

ـ لكنه كاد يحدث.. كورين.. أنا آسف.

بدا أن شيئاً ما يقفز في رأسها.. هذا هو الشيء الذي لم تكن تريد منه أن يقوله! أحست بموجة غضب وبألم. أرادت أن تصرخ، ولكن صوتها لم يخرج.. عندما تحرك كريغ ليمسك بدها، فقدت السيطرة على نفسها تماماً. وقفزت على كريغ مغشية البصر

بالدموع، تضربه بجنون وكأنما العنف قادر على تسكين الألم في قلبها. أخذت قبضتاها تهبطان على صدره، ذراعيه، وكانت ستصل إلى وجهه لو لم يرجع رأسه إلى الوراء، لكن العنف الغاضب لم يتوقف، ضربته مراراً ومراراً فيما النشيج الجاف يجرح حلقها.

ـ أكرهك! أكرهك! أكرهك! لا تلمسني مرة أخرى.. أتسمع؟ لا تلمسني أبداً!

اخترق صوتها الحاد السكون وشطر الهواء.. ولكن حتى وهي تضرب قبضتها على صوف كنزته عرفت أنها لا تضرب كريغ.. بل تضرب نفسها.. منذ وقت قصير فقط، كانت خائفة منه، خائفة أن يهاجمها.. وكانت على حق. ولكنه هو من توقف.. ويجب أن تكون شاكرة له لأنه ابتعد فأنقذها من نفسها.. ولكن الامتنان كان بعيداً كل البعد عن مشاعرها الآن.

لم تبدر عن كريغ أية حركة ليوقفها ولم يحاول الدفاع عن نفسه.. انتظر بصمت حتى حرق غضبها نفسه، ورمت نفسها على البساط قربه مقطوعة الأنفاس. لحظتئذ فقط تكلم ولكنه لم يلمسها، اخترق صوته الهادىء الضباب الأحمر الذي غزا عقلها.

قال بهدوء ولطف:

ـ لا بأس أيتها الصغيرة.. أعتقد أنني أستحق هذا.. أتشعرين بأنك أفضل حالاً الآن؟ هل أخرجت كل ما في نفسك؟

كان للهجته الساخرة تأثير الماء البارد على دماغ كورين. جلا تفكيرها فوراً وتلاشى الغضب المؤلم أمام هدوء بارد..

رأته يبتعد ليقف ويتجه إلى النافذة.. دفع الستائر جانباً يحدق إلى الليل القاتم السواد.. رأت تصلباً في طريقة رفع رأسه وتوتراً في عنقه وكتفيه، وهي تنمّ بوضوح عن تعب وقلة ارتياح، وعن

الجهد الذي يقوم به لإخفاء تعبه، ثم ترك الستارة تعود مكانها، وارتد إليها.

قال بهدوء، لكن بلهجة شرسة آمرة، استرعت اهتمام كورين وأسرته:

- هل ستصغين إليَّ الآن؟

بعدما أحرق غضبها الأعمى نفسه، أحست بهدوء مرهق..

قال ببطء: «ما كان عليَّ معانقتك بل ما كان عليَّ أن أكون هنا.. لولا الحادثة التي وقعت لي لكنت بعيداً أميالاً وأميالاً.. وما كنا التقينا أبداً. ولكن الأمر كان عكس هذا. لقد أصبت بصدمة ما، وكان منزلك الملجأ الذي احتجته.. أنا هنا شئت أم أبيت.. ولا أستطيع تغيير ما حدث.. وأنا أشكرك لكل ما فعلته من أجلي.. لكن الموقف كله موقف مجنون.. ولا يمكن الاستمرار فيه.. كنت سأذهب منذ ساعات لكن..»

ترك كريغ الجملة بدون أن يتمَّها.. إذ لا حاجة إلى أن ينهيها.. عضت كورين على شفتها وهي تتذكر أنه حاول الرحيل وكانت حماقتها وخوفها هما اللذان أجبراه على البقاء.. وربما كان تفسيره البريء هذا هو الصحيح على أي حال.. فهو لم يحاول أذيتها، أما عنفه السابق فكان الهدف منه تلقينها درساً تحتاجه كثيراً.

هز كريغ كتفيه: حسناً.. هذا شيء لا أستطيع تغييره.. لكنني أستطيع ألا أفرض نفسي عليك أكثر من اللازم.. لن أستطيع الخروج الليلة.. لكن إن استطعت إجبار نفسك على تركي أبيت هناك حتى الصباح أعدك بأن أخرج في الصباح الباكر حالما يبزغ الفجر.. سأخرج من حياتك، وأتركك بأمان.

بدت الغرفة صامتة بشكل غريب عندما توقف عن الكلام..

خمدت الريح في الخارج أخيراً.. كانت تمتمة النار الخافتة تصل إلى ذهن كورين وهي تفكر في كلماته.. إنها تريد منه أن يرحل، تريد ذلك الأمان الذي تكلم عنه، تريد الرونين الذي لم تكن تقدره حق قدره حتى ظهر كريغ وهشمه إرباً إرباً، مع ذلك كان جزء صغير لعين منها يريد منه أن يبقى.. همس صوت صغير غادر ماكر في رأسها، يقول لها إن الحياة بلا كريغ لن تكون آمنة، بل فارغة.

- كورين؟

ابتلعت ريقها بصعوبة.. لقد كان كريغ عاقلاً ومنصفاً.

قالت: «إن كنت تظن أن هذا هو الأفضل».

أحست بالراحة لأن صوتها عاد إلى هدوئه.

- أجل كورين.. أريد أن أعتذر عن...

قاطعته بحدة: لا أريد التحدث عنه كريغ.

ارتفع صوته فجأة:

- لكنني أريد التحدث عنه.. اللعنة! أنا آسف، لكننا لن نستطيع الادعاء أنه لم يحدث. أريد منك أن تفهمي.

- وماذا هناك لأفهمه؟

أيريد منها أن تفهم أنها فقدت السيطرة على نفسها..؟

تنهد كريغ: كورين.. لا تكرهيني بسبب جرائي عليك.. كنا ضحية ظروف غير طبيعية وساعد جو المنزل على إغرائنا، ولكننا تداركنا أنفسنا في الوقت المناسب. ألا ترين؟ اسمعي.. الآن أنت الشخص الوحيد الذي أعرفه في هذا العالم.. وكنت إلى جانبي عندما احتجت إلى من يساعدني. أنت فتاة رائعة.. لو التقينا في زمن آخر، لتعارفنا بشكل أفضل ولكان لنا معاً شيئاً رائعاً.. أما الآن فلا! لن ننجح.. يجب أن تفهمي هذا.

هزت كورين رأسها ببطء معترفة بصحة كلامه، اعترف عقلها أنه يحميها من نفسها.. ولكن قلبها كان يصرخ بأن الزمان أو المكان غير مهمين.. المهم هو أحاسيسهما.. ثم قال كريغ محطماً هذه الأفكار المتمردة:

ـ لا أدري إن كنت متزوجاً أم أعزب. ربما لي زوجة وأولاد في مكان ما.. الله وحده يعلم. وحتى أعرف من أنا لا يمكنني المخاطرة بمشاعر الآخرين.. يجب أن أحاول معرفة شيء عن نفسي، وحتى أفعل هذا عليّ أن أبتعد من هنا.. إن تركتني أنام هنا الليلة أعدك بألا أحاول لمسك مجدداً.

أجبرت كورين نفسها على تأمل وجهه فرأت النظرة الرمادية الضبابية، وخطوط التعب حول أنفه وفمه.. ما زالت غير قادرة على اتخاذ القرار.. ولكنه مجروح ومتعب، والليل يكاد ينتصف، وهي ليلة باردة قارصة.. لذا لن تستطيع رميه خارجاً الآن.. قالت وهي تعلم أن هذا هو الرد الوحيد:

ـ بإمكانك النوم في الغرفة الإضافية.

* * *

٥ ـ لن يرحل

كانت الغرفة رمادية مظلمة تملأها الرهبة عندما فتحت كورين عينيها تتساءل ما الذي أيقظها.. ما زال عقلها ضبابياً بالنعاس.. ومع أنها علمت أن هناك ما يجب أن تتذكره، لم تستطع تحديده. ثم تكرر الطرق على الباب وناداها كريغ باسمها، فتذكرت، وتدفقت الصور حية فتأوهت وتمنت لو ظلت نائمة. أبقاها التفكير في كريغ مستيقظة نصف ليلها، ولاحقها حتى في أحلامها وها هي الآن غير مستعدة لمواجهته.

لكن الباب انفتح.. ودخل كريغ إلى الغرفة حاملاً كوباً من القهوة يتصاعد منه البخار.. وجدت كورين نفسها تستيقظ فجأة، ونظرت إليه بقلق، محاولة معرفة مزاجه وهو يضع كوب القهوة على طاولة السرير. أحست أنها صغيرة هشة وهي مستلقية فيما كريغ واقف مشرف عليها من فوق، يكاد رأسه الأسود الشعر يصل إلى العمود السنديانى الأسود في السقف..

بدا أفضل حالاً هذا الصباح.. كانت عيناه الزرقاوان أقل توتراً من ليلة أمس.. بدا نشيطاً فانحبست أنفاسها في حنجرتها.. فهو فائق الجاذبية.. وقد جعلتها رؤيته في وضح النهار للمرة الأولى تعي جميع التفاصيل الدقيقة التي لم تنتبه إليها من قبل.. رأت الوميض البرّاق في شعره البني القاتم، وروعة عينيه الزرقاوين كما

رأت التضارب المثير للغموض ما بين قسوة عظام وجهه الخشنة، وبين فمه. إنه رجل لا يمكن للمرء المرور به في جمع من الناس بدون أن يلفت نظره.. رجل جذاب يثير اضطراب أية امرأة قد يواجهها.

سألها وهو يجلس في أسفل السرير مستنداً إلى الجدار:

ـ أتنامين عادة حتى وقت متأخر؟

ـ أعتقد أنك استيقظت منذ ساعات!

رد باختصار:

ـ لم أستطع النوم.. ألن تشربي القهوة؟

ـ سأشربها حين أكون مستعدة لها.

ـ افعلي ما شئت.. إنما لا تلوميني إذا بردت.

جعلها التوتر سيئة الطباع، وسألت:

ـ هل أنت مرح هكذا دائماً في الصباح؟

فكر لحظة، ثم أطلق عليها نظرة مرحة:

ـ يجب أن أتجاوز الرد على هذا.. سنعيد التفكير في الغد أو بعده.

صاحت بقوة وهي تجلس بسرعة:

ـ لن تفعل! لن تكون هنا في الغد! اتفقنا على أمر محدد. أتذكر؟ تبقى ليلة واحدة ثم ترحل اليوم.

ـ هذا كان الاتفاق.

في لهجته ما خدش أذني كورين، فنظرت إلى وجهه بريبة. التقت العينان الزرقاوان بنظرتها ولكن هدوءه لم يطمئنها، بل كان له تأثير عكسي، أثار شكوكاً جديدة مثيرة. ما الذي يلعبه الآن؟ لا ريب أنه يفكر في شيء. بدأت تقول بغضب:

ـ ماذا بالضبط...

لكنه قاطعها: «اهدئي سيدتي الصغيرة.. ليس هناك ما يدعو للذعر.. لدي أخبار حسنة لك، وأخبار سيئة. فبأيهما أبدأ؟»

تنهدت ساخطة. إنه يتعمد إثارتها! وعليها أن تقاوم لإبعاد النيران عن طبعها.

مدت يدها إلى كوب القهوة تقول:

ـ الأخبار الحسنة على ما أعتقد.

ـ إنهما شيئان في الواقع.. أولهما عودة التيار الكهربائي.

مد يده ليضيء المصباح إلى جانبها، فرفرفت عينيها انبهاراً..

أضاف: «الأمر الثاني أنني وجدت الحقيبة».

ـ الحقيبة؟ آه.. حقيبتك؟ كريغ.. هذا رائع!

كشف صوتها عن سعادة حقيقية. فيما كانت مستلقية حاولت التصور كيف يكون إحساس المرء عندما يفقد ذاكرته كلياً. وجدت التجربة متعبة حتى في خيالها. لقد أصبح كريغ الآن أقرب إلى الحقيقة، وهي سعيدة من أجله بلا تحفظ.

ـ أين كانت؟

ـ خارج الباب. مدفونة تقريباً في الثلج. يبدو أنها وقعت مني هناك.. وأنا دهش لأنك لم تريها.

ـ ربما كانت مطمورة بالثلج ساعتئذ.

كان ينظر إلى يديه بقلب الخاتم الذهبي في اصبعه، دلالة على انشغال باله. فصاحت به:

ـ حسناً.. لا تتركني منتظرة متوترة.. ماذا وجدت؟

ارتفعت عيناه إلى وجهها..

ـ القليل.. بعض الثياب، أغراض الحلاقة، كتابين، وزجاجة عطر.

ـ عطر؟

هز رأسه موافقاً.

ـ لربما كنت أخطط لعطلة نهاية الأسبوع.

عاد القلق الحذر إلى وجهه فظنت أنه يخفي شيئاً.. فسألت: «أهذا كل شيء؟»

ـ أجل.

ـ غير ممكن!

أعطت خيبة الأمل الحدة لصوتها. ظنت أن ذاكرته ستنتعش حالما يجد الحقيبة فإذا النتيجة بضعة ملابس وكتب لا تدل إلا أنه كان يسافر خفيفاً.. لكن من أين إلى أين؟

ـ لا بد من وجود شيء آخر!

ـ ماذا.. مثلاً؟ شهادة ميلاد؟ شجرة العائلة؟ مذكرات تغطي آخر ثلاث وثلاثين سنة؟

لسعت سخريته كورين بشكل مؤلم، فأنبته:

ـ لا تكن سخيفاً! تعرف قصدي. رخصة قيادة، أو دفتر شيكات، بطاقات اعتماد.. شيء ما عليه اسمك.

ـ لا.

أهي مصابة بخيبة الأمل هكذا من أجل كريغ؟ ألم تكن تأمل أن يجد ما يثبت أنه ضحية بريئة لحادث ما؟..

قالت، وهي تعني ما تقول: «أنا آسفة».

ابتعدت عيناه عنها وأطرق ينظر إلى غطاء السرير.

سألها فجأة: «هل صنعته بنفسك؟»

كانت واثقة أنه غير مهتم بالرد، بل هو مهتم بأفكاره الأخرى الخاصة، ولكنها أجابته بنعم.. فتمتم:

ـ فتاة ماهرة، أنت لست ما توقعت أن تكوني.

ورفع نظره إليها.. وجدت أن تفرسه المتشدد فيها يثير

اضطرابها، فاشتدت يداها حول كوب القهوة. وقالت تتحداه بحدة:

ـ وكيف تعرف ماذا تتوقع؟

ازدادت تقطيبة كريغ، وجمدت يداه فجأة، ثم تمتم ساخراً:

ـ أصبت.. لكنني ما زلت أفكر، حسناً ضعي نفسك مكاني.. لو استيقظت في غرفة نوم مليئة بالأنتيكات وبأشياء مطرزة يعود عهدها إلى عام ١٨٩٨ فهل تتوقعين فتاة شابة ترتدي الجينز، وما يبدو لي كنزة صوفية من أفضل التصميمات، وتعيش بمفردها هنا.

ـ لقد صممت الكنزة بنفسي.. وهذا عملي.. أما الأثاث فورثته مع المنزل الذي كان لعمتي الكبرى.

تردد صوتها في آخر كلماتها، فهل من الأمن أن تخبره الكثير عن نفسها؟

ـ ولماذا أنت؟

بدا سؤالاً مهذباً، لكن كورين لم تستطع إجبار نفسها على الرد، فاشتدت قبضة كريغ على الغطاء.

ـ حسناً.. لا يحق لي أن أسأل.. إنسي الأمر.

ـ لا.. لا بأس في هذا عمتي الكبرى ليز لم تتزوج وكنت أنا ابنة ابن أخيها الوحيدة. كانت علاقتنا وطيدة، وكانت تعرف كم أحب الكوخ.. والواقع أنني الوحيدة التي كنت أزورها في طفولتي..

صمتت لأن تعابير وجه كريغ أصمتتها.. لكنها كانت تعابير عابرة.. فحاولت التفتيش عن موضوع آخر:

ـ أهذا هو الخبر السيء.. أنك لم تجد ما يساعدك في الحقيبة؟

ـ لا . . فهذا كان مجرد خيبة أمل.

شعرت بالريبة.

ـ الخبر السيء شيء آخر . . نحن محجوزان بالثلج.

صاحت بصوت ملؤه عدم التصديق: «غير ممكن!».

ـ انهمر الثلج طوال الليل، وما زال منهمراً . . انظري بنفسك إن كنت لا تصدقيني.

ترجل عن السرير متجهاً إلى النافذة.

عندما أبعد الستائر، نظرت كورين برعب وصدمة إلى تغير معالم الأرض التي أصبحت كتلة جليد عدوانية. أما الثلج فما زال متساقطاً من سماء مكفهرة تنذر بمزيد من السوء. فهمت الآن سرّ النور الرمادي الغريب في الغرفة حين استيقظت.

ـ أفهمت الصورة؟ أرى أنك فهمتها . . والمشكلة . . هو ماذا سنفعل . . أو بالأحرى ماذا ستفعلين أنت بالنسبة لهذا الأمر؟

ـ لا أستطيع فعل شيء! الثلج ينهمر، ولا أستطيع توقيفه!

ـ لا تتعمدي بلادة الذهن! تعرفين قصدي.

رفع يده يبعد خصلة من شعره الأسود عن جبينه، فانجذبت عيناها إلى الكدمة البشعة التي ظهرت بوضوح حتى في نور الصباح الشتائي الشحيح . . تنفست بحدة . . لقد نسيت أنه جرح بليغ. جعلها منظره تتساءل عن الجهد الذي يبذله لتجاهل إصابته.

حاولت التركيز على ما كان يقوله كريغ، بكل بطء وكأنه يشرح شيئاً إلى طفل عنيد:

ـ كورين، حاولي أن تفهمي. تكدّس الثلج طوال الليل، وهناك أكوام الله وحده يعلم كم عمقها في الخارج . . لا بد أن الطرقات مقفلة وهذا يعني أن أحداً لن يستطيع الوصول إلينا، ونحن . . أنا، لا أستطيع الخروج . .

استوعبت ببطء ما يحاول قوله، فاتسعت عيناها من فرط الصدمة والسخط.

ـ أتن ترحل اليوم؟

ـ لا أستطيع ذلك إلا إذا كان لدي مزلاج وفريق من كلاب الأسكيمو. على ما يبدو أنك عالقة معي!

صاحت: «لا يمكنك البقاء . . لا أريدك أن تبقى! أعني . . ألا يمكنك فتح الطريق؟»

التوى فم كريغ بسبب ردة فعلها، وقال ببرود:

ـ آسف على تخييبي ظنك . . لكنني أشك في أن تتمكن كسارة ثلج من اختراق ما في الخارج.

التفت فجأة ينظر إلى خارج النافذة وتعابير وجهه باردة كئيبة كمنظر الأرض في الخارج.

ـ كورين . . أدرك أنك لا تستطيعين الانتظار لتتخلصي مني . . صدقيني سأخرج لو استطعت. لا أرغب البقاء هنا بمقدار عدم رغبتك أنت في ذلك . . لكن هذا مستحيل!

تنهدت بضعف، فجزء منها لا يريد منه أن يرحل، ولكن وجوده في منزلها يشكل خطورة على مشاعرها وتدميراً لها . . ليلة أمس أظهرت مدى انجذابها إليه، لذا كلما طال بقاؤه كلما زادت فرص أن تتصرف كما تصرفت مرة أخرى، وأن تترك لمشاعرها السيطرة عليها وعلى تعقلها. أحست بالغثيان للفكرة. كيف لها أن تحس بمثل هذا الانجذاب تجاه رجل لا تعرفه وقد لا تعرف عنه شيئاً بسبب فقدان الذاكرة؟

قال لها صوت العقل البارد: هذا إن كان ما يقوله حقيقي؟ تقلصت معدتها ألماً من هذه الفكرة، إذ ليس لديها غير كلمة كريغ.

قالت ببطء: «قد نبقى أياماً على هذه الحال.. وهذا سيسبب المتاعب لك».

أدار وجهه إليها ببطء، وسألها بصوت منخفض:

ـ أي نوع من المتاعب؟

أطبقت يداها على الغطاء الذي يغطيها فراحت تطويه مرات ومرات بعصبية.. لم تعجبها الطريقة التي كان ينظر فيها إليها وكان في كلماته حدة.. أحست بالغثيان يقلب معدتها وعرفت أنه فهم بأنها تمتحنه..

قالت: «حسناً.. لا بد من وجود من قد يتساءل عن مكانك.. شخص ما سيقلق».

ـ ممكن.

أعادت طريقة رده شكوكها السابقة، بأنه يخفي عنها شيئاً..

ـ هناك شيء آخر في تلك الحقيبة.. أليس كذلك؟ شيء لم تخبرني به كريغ.. ما هو؟ أريد أن أعرف!

خالته سيرفض الرد.. أخفت أهدابه الكثة عينيه الزرقاوين، واشتدت عضلات فكه. الواضح أنه فكر بالأمر، إذ أخرج شيئاً من جيبه الخلفي، ورماه إليها.. طارت الورقة في الهواء قليلاً ثم حطت ببطء على الفراش قربها.. راقبها بهدوء وهي تلتقطها.

ما إن رأت الصورة حتى أدركت خافقة القلب لماذا حاول كريغ إخفاءها عنها.. كانت متجعدة باهتة لكثرة الاستخدام، والمرأة الشابة الشقراء الظاهرة فيها قد تكون أياً كان: صديقة، شقيقة، ابنة عم، لكن الطفل القوي الذي كان بين ذراعيها، كان أمراً مختلفاً.. فشعر الصغير بني فاتم، وعيناه زرقاوان أهدابهما كثة طويلة. من يرء يتأكد أنه بعد سنة أو اثنين سيكون صورة طبق الأصل عن كريغ نفسه.

إنه متزوج.. متزوج.. متزوج.. تصادمت الكلمة في عقلها وعادت عيناها إلى وجه المرأة الضاحك، المرأة التي تحمل الطفل، وكادت تصرخ من الغنوط الذي اجتاحها. لم يكن هناك ما يجعلها تشعر على هذا النحو.. لكنها لم تستطع إبعاد ذلك الإحساس عن رأسها وهي تقلب الصورة.. لم يكن عليها كتابة. لا شيء عليها يساعد كريغ أو يساعدها.

اخترق صوت كريغ أفكارها:

ـ كانت في أحد الكتابين.

ـ أهي زوجتك؟

ـ ما رأيك؟

ـ إنها جميلة جداً.. والصبي الصغير رائع.. ما اسمه؟

لم يكن السؤال جزءاً من اختبار.. فمنذ رأت الصورة نسيت كل شيء عن الشكوك في صحة قصة كريغ، ولكنها تفوهت بالسؤال قبل أن تدرك ما تقوله.

سأل بوحشية: «كيف لي بحق الله أن أعرف؟ لا أدري من هو، أين هو، ما هو.. اللعنة.. لا أدري!»

حطت كلماته كصفعة قوية فارتدت إلى الوراء فوق الوسادة، مذعورة من الغضب المباغت الذي أطلقته كلماتها فيه.

ـ أنا.. أنا آسفة.. لم أفكر في السؤال.

ـ لم تفكري! لم تفكري.. أنت لا تفكرين وأنا لا أستطيع التوقف عن التفكير! لقد فكرت في الأمر مراراً ومراراً حتى ظننتني أوشك على الجنون، مع ذلك لم أتذكر!

هوى إلى الفراش بلا تحذير مسبق، وأغمض عينيه..

قال ببطء وألم، كان جسده كله مشدوداً من الجهد الذي يقوم به ليتذكر:

ـ كنت مستلقياً تحت شجرة.. أستطيع تذكر الشجرة، لأنها كانت مقسومة إلى شطرين، بفعل صاعقة في وقت ما.. أعرف كل ما حصل بعد هذا.. أما قبل ذلك..

اشتدت قبضتا يديه وكأنه يحاول أن يمسك بشيء قبل أن يتسلل هارباً منه.

ـ قبل هذا، كل شيء أبيض، فارغ.. لا شيء!

ـ كريغ.. لا تفعل هذا بنفسك!

نسيت كل شيء عن مخاوفها السابقة. رمت الغطاء عنها وأنزلت ساقيها إلى الأرض مسرعة إليه، لا تريد إلا مساعدته. أمسكت يده بشدة، تتوسل إليه:

ـ أرجوك، لا تفعل هذا بنفسك.. لا تعذب نفسك هكذا!

قال بصوت ميت خال من التعبير:

ـ أنا لا أعرف تلك المرأة، ولا أعرف الطفل.. لم أتعرف إليهما. إنهما لا يلامسان شيئاً في داخلي.. لو كانت زوجتي.. لو كان ابني لأحسست بشيء!

وكأن العالم توقف.. لم تصدق كورين الفرح الذي غمرها.. لكن الدم جف من وجهها وهي تدرك ما تفكر فيه.. إنها مسرورة لأن كريغ لا يتذكر زوجته وابنه.. على الأخص زوجته. أهي بلا مبادىء أخلاقية لتتمكن من الشعور بالسعادة على حساب غيرها؟

ارتد كريغ إليها، فارتجفت لا إرادياً لأنها رأت المشاعر الفجة في عينيه. من المستحيل أن يكون ممثلاً..

قالت بلطف: «ستعود إليك ذاكرتك. أمهل نفسك بعض الوقت كريغ.. ستتذكر.. أعرف أنك ستتذكر».

ـ ليت لي ثقتك بنفسك!

في صوته مسحة من مرحه السابق.. بدا أنه أخذ يسترد وعيه

بسرعة من الارتباك الأسود الذي استحوذ عليه..

عاد كريغ إلى موضوع الصورة:

ـ إنهما غير حقيقيين. هما مجرد خيال، أنت حقيقية، الآن أنت تعنين لي أكثر بكثير مما يعنيانه لي.

جعل الجذل رأسها يدور ويدور.. ولكن سرعان ما تدمر فرحها ليحل محله شعور بالذنب قوي. تعرفت الآن إلى ذلك الإحساس الذي خبرته عندما رأت المرأة في الصورة.. إنه الغيرة.. غيرة مؤلمة غير معقولة من امرأة مجهولة. تفرست بوجه كريغ، تحاول أن تتبين ما الذي في هذا الرجل يجعلها تفكر وتتصرف بصورة مخالفة عن شخصيتها وعن معتقداتها. فيما كانت تفكر تسللت كلمات هانك إلى عقلها.. كان قد قال لها:

ـ لم أقصد أن يحصل هذا.. لكن ما إن التقيت جاكي حتى عرفت أنني لن أستطيع العيش بدونها. بدا لي أن العالم فارغ..

لكن هانك كان يتكلم عن الحب.. وما تشعر به نحو كريغ ليس حباً.. إنه رغبة بحتة.. منذ البداية وفي اللحظة التي رأته فيها نائماً، شعرت بهالة من الإثارة حوله، نعم شعرت بها في الجو كحيوان يشم رائحة دخيل إلى منطقته.. ثم، ليلة أمس، أيقظ عناقه فيها مشاعر فجة، لا يمكن السيطرة عليها، مشاعر لم تعرف أنها تمتلكها..

تحرك كريغ مضطرباً ثم نهض لينظر بكآبة إلى الثلج في الخارج.. كورين التي تحررت من سلطة قربه هدأت أفكارها المضطربة، وأصبحت أفكاراً غير مريحة.. طالما آمنت أن الحب ينمو ببطء وثبات، كما حدث لها مع هانك.. لكن انفصام تلك العلاقة علّمها أن الأمر ليس دائماً هكذا. فالحب قد يأتي من حيث لا تدري، مكوّناً كلياً ومدمّراً. الآن تشعر بأن مشاعرها تجاه هانك

بلا نكهة إذا ما قارنتها بالمشاعر التي تكنها لكريغ.

نظرت كورين من نافذة غرفة الجلوس، غير قادرة على جذب عينيها عن البساط الأبيض المخيف الذي امتد فوق الأراضي الريفية ماحياً كل أثر لوجه الأرض. لو كانت بمفردها لاستمتعت بفكرة الحجز الإجباري.. لكن وجود كريغ بدّل الموقف كلياً. أربكتها الفكرة حتى صاحت في وجهه عندما اقترح إلقاء نظرة على مؤونة الطعام للتحقق منها:

ـ ألا تظن أنك تبالغ؟ قد يزول الثلج غداً.

ـ لا أمل.. الشيء الوحيد الذي يُذيب هذه الثلوج المتراكمة هو سيل من الأمطار، لذا أقترح عليك البدء بالابتهال إلى الله حتى تمطر. الواقع أنني غير سعيد أنا أيضاً بالاحتجاز هنا.. لدي أشياء مهمة أستطيع فعلها.. والآن هل تأتين؟

أخرجت القسوة المنذرة بالشر في صوت كريغ كورين من مقعدها قبل أن تستطيع التفكير.

ـ قادمة سيدي الملازم.. سيدي!

ثم، وبعد تفكيرها في شيء ما نظرت إليه بفضول:

ـ لست في الجيش.. أليس كذلك؟

كان رده سلبياً.

ـ بالتأكيد لا.

وكيف يكون واثقاً هكذا؟ لقد وثقت به، فهل منحته هذه الثقة بسهولة؟

قالت بحدة: «لا يمكنك معرفة ذلك إلا إذا تذكرت شيئاً!»

ـ سأخبرك إن تذكرت شيئاً.

حذرتها برودة عينيه أن تترك الأمور على ما هي، لكنها تحدت التحذير:

ـ إذن كيف..

لكنه لم يتركها تكمل:

ـ اللعنة كورين.. لا أستطيع الرد على الأسئلة التي تراودني أنا فكيف أجيب عن أسئلتك! فاتركي الأمر هكذا!

ـ حسناً، إن لم تكن في الجيش.. فماذا عن البحرية؟ أو قوى الجو؟

لم تلق أسئلتها رداً، وأخذ كريغ يفتح الخزائن ويُقدّر ما فيها بسرعة وفعالية.. ترى أي جزء من ماضيه المنسي علّمه هذا كله؟ عادت أفكارها إلى الحقيبة التي وجدها.. لقد تركها لها لترى محتوياتها. إنه يتصرف تصرف رجل ليس عنده ما يخبئه. عندما ألقت نظرة على الحقيبة لم تر غير كنزة من الصوف الاسكتلندي الرمادي وجينز أسود، وقصتين بوليسيتين.

أنتج ذكرها للجيش ردة فعل قوية فيه، لكنها حاولت الآن تصوره بالزي الرسمي فشلت. شعرت بأن تفكيرها بالقوى المسلحة الأخرى كانت بعيدة عن الهدف.. فطبع هذا الرجل يدل على الاستقلال.

أكملت بإصرار:

ـ أو هناك الشرطة.. الشرطة السرية.. المخابرات.. أتظن أنك تحرّي؟

ـ كورين! لا أعرف!

انفجر صائحاً في اللحظة التي فهمت فيها أن لا دليل لديها يشير إلى انخراطه في سلك القانون.

قال بهدوء بعد توقف مقلق:

ـ وضع الطعام أفضل مما توقعت.. وهذا عون غير متوقع.

أشار إلى الثلاجة التي كانت هدية والدها احتفاءً بمسكنها

الجديد. أضاف: «ظننتك من الأشخاص الذين لا يهتمون بمثل هذه الأشياء العصرية.. فأنت مثلاً لا تملكين جهاز تلفزيون».

ضحكت: «هذا.. أنا لا أجد وقتاً..»

وصمتت لدى رؤيتها وجهه.. كان ينظر إليها وكأنه يخترقها أو كأنها غير موجودة.. أقلقها ذهوله المفاجىء وأخافها.

صاحت به بحدة: «كريغ».

لاحظت انتفاضته وهو يعيد اهتمامه إليها. قال بصوت كئيب:

ـ الفحم.. أتديك منه ما يكفي؟

ـ أنا.. أظن هذا.. فخزان الوقود هنا.

شعرت بأنه ذهب بعيداً عنها إلى عالم آخر لا تستطيع الوصول إليه. فتحت باب المطبخ.. لكنه لم يلق إلا نظرة سريعة على كومة الفحم الحجري.. كان تحركه بطيئاً، مفككاً وكأنه تحرك دمية آلية تكاد تنفذ طاقتها.. فجأة مد يده إلى سكاكره بيد مرتعشة.. راقبته بقلق، فلاحظت للمرة الثانية كيف انتشرت الكدمة على رأسه وكيف اسودت خلال الليل حتى أصبحت بقعة بشعة فوق عينه.

ـ كريغ.. أنت بخير؟

لم يرد، لقد تخلى عن إشعال سيكارته، وعاد مرة أخرى يدير الخاتم المنقوش حول اصبعه مراراً ومراراً في إشارة تعبّر عن أفكاره المضطربة.

صاحت وقد ملأتها عقدة الذنب ذعراً:

ـ يجب أن تكون أكثر حذراً! يجب أن تستريح!

سخر منها، وعيناه تومضان:

ـ كورين، لا تقتعلي الضجيج!

ابتلعت ريقها بصعوبة.. لو كان مرتجّ المخ لوجب بقاؤه

هادئاً.. والجدال معه أسوأ ما تقوم به.. لكن ليس من السهل إظهار الاهتمام برجل يحاول بعناد إخفاء كل أثر للضعف، ويرفض أن تظهر له بعض التعاطف من كل قلبها.. لكن شحوب وجهه كان حقيقياً بحيث لا مجال للشك في صحة قصته.

بذلت جهداً لتبقى هادئة:

ـ سأصنع لك شراباً.. يبدو أنك بحاجة لشيء.

جلس كريغ على الطاولة يراقبها تحضر إبريق شاي.. يده تتلاعب بقداحته. توقفت الحركة العصبية فجأة بعدما أخذت تضع كورين له السكر في الفنجان ظناً منها أن الحلو مفيد للصدمة. اشتدت أصابعه على القداحة، يكاد يقسمها نصفين..

قال ببرود قارس: «قد يكون دماغي منشوش.. ولكنني لم أصل إلى درجة البلاهة! إن كنت أحب السكر في الشاي أستطيع وضعه بنفسي».

ظهر احمرار الغضب للحظة على وجهه، ثم تلاشى بسرعة، تاركاً وجهه أبيض شاحب، وفارغاً.. فجأة ضرب المائدة بقبضته لاعناً، لكن انحناءة كتفيه أعلمتها أن غضبه موجه لنفسه لا إليها.. أحست برغبة غامرة في ضمه بين ذراعيها.. لبته يفتح لها قلبه ويتحدث إليها بدل كتم كل شيء في داخله! لكن القناع نزل ببطء على وجهه..

قال بهدوء: «أنا آسف، لم أقصد ما قلت. أظنني صعب المعاشرة في هذه اللحظات».

لمس قوله في كورين وتراً حساساً، فأجفلت في داخلها بسبب المعاني التي تحملها كلماته.

ـ ألن يساعدك التكلم عما في قلبك؟

ـ ليس لدي ما أتكلم عنه. ألا تفهمين؟ لا شيء هنا سوى

فراغ أسود كبير لا قرار له. أشعر بأنني غير موجودا

في صوته قوة الغضب المكبوت.. فجأة رفع يديه في حركة استنكار:

ـ ولكنها مشكلتي.. لا مشكلتك.

آلمها قوله، ليس هناك سبب للألم، لكنه آلمها:

ـ لكنني أريد أن أساعدك!

ـ كورين.. إنها مشكلتي! هذا رأسي، ذاكرتي، و..

أطبق فمه على ما أوشك أن يقوله.. ووقف، يمد يده إلى كوب الشاي.. ثم قال بصوت خال من الرحمة:

ـ سأحمل هذا إلى فوق.. ثم أعود إلى هنا عندما أصبح أهلاً للصحبة البشرية.

* * *

٦ ـ انتقام حلو

كانت كورين تقشر البطاطا بقسوة لا لزوم لها، تعكس حركاتها المتوترة أفكارها المضطربة. كان كريغ يذرع الغرفة باضطراب ولكنه توقف منذ ساعة.. ومنذ ذلك الوقت، والصمت مطبق في غرفته.. لم تستطع منع نفسها من التساؤل عما وجده ليفكر فيه طوال هذا الوقت وهو لا يتذكر شيئاً.

أدارت الراديو نوعاً من الدفاع عن النفس ضد الصمت المتوتر..

عندما ظهر كريغ في المطبخ كانت البطاطا قد أصبحت في المقلاة ذهبية اللون. نبهتها نظرة سريعة إلى وجهه إلى ضرورة اتخاذ جانب الحذر، فأجبرت نفسها على الابتسام ترحيباً.

أبقت اهتمامها منصباً على ما في المقلاة وقالت:

ـ أراهن أنك مستعد إلى تناول هذا الشيء اللذيذ.

تمتم كريغ شيئاً يشبه الموافقة، قبل أن تنطلق إشارة الأخبار من الراديو، فالتفتت في هذه اللحظة بالذات فوجدت يده تمتد لتقفله بحركة سريعة ملؤها نفاد الصبر، فصاحت محتجة:

ـ هاي! كنت أصغي إليه!

ـ أنا لم أكن أصغي.

ـ اسمع الآن!

رمت الطبق على المائدة وغضبها يهدد بالخروج من عقاله، مع أنها قررت التزام جانب الحذر.

ـ قد أضطر لتحمل وجودك معي إذ لا خيار آخر. ولكن هذا لا يعطيك الحق بتولي السلطة هنا! أريد أن أستمع إلى الأخبار.

ـ وأنا لا أريد.

جعلتها لهجته تتراجع إلى الخلف متوترة، خائفة مما ستكون عليه خطواته التالية.. أنبأها ارتفاع عنيد لفكه بأن من غير الحكمة أن تدفع الأمور أكثر من هذا. أحست بالبرودة تسري في أوصالها.. ما الذي لا يرغب في سماعه في الراديو؟

حينما تحرك انتفضت مذعورة ولكنه جرّ كرسياً عن المائدة وجلس. يركز اهتمامه على طبق الطعام الذي وضعته أمامه.. قال بلهجة مختلفة عن اللهجة العدوانية السابقة.

ـ ستكدرك الأخبار.

ولكن توتر عضلاته أشار بوضوح إلى أن من الحكمة ألا تصدق أنه مسترخ. كان تعليقه صحيحاً.. فالأخبار وما يرافقها من تقارير الوفيات والدمار في مختلف أنحاء العالم، تكدرها فعلاً.. ولكن، كيف يعرف أي نوع من الأخبار ستسمع.. إلا إذا.. آه.. يا إلهي! إلا إذا كان يكذب عليها طوال الوقت.

قال بلهجة متسامحة: «سيبرد طعامك».

لكن لهجته هذه أشعلت ناراً فككت الشلل الذي أصاب تفكيرها:

ـ ومن تظن نفسك بحق الله؟ تقتحم منزلي بلا دعوة، ثم تفرض عليّ ما أفعله وما لا أفعله. هذا منزلي!

علمت أنها تخاطر بالمتاعب، ولكنها أصبحت أبعد من أن تهتم إذ أطلقت العنان للمشاعر التي كانت مختزنة في داخلها طوال

اليوم..

أضافت: ما دمت باقياً هنا وهذا للأسف ما لا يمكن اجتنابه، فلقد آن لنا أن نتوصل إلى اتفاق ما.. أولاً افهم أنك هنا رغماً عني.. ثانياً اعلم أنني أنا من يقرر كل شيء في المنزل.. لذا، عندما أقول إنني أريد إدارة الراديو فهذا يعني أنني سأديره.

أوه.. هذا جنون! إنها لا تستمع إلى الراديو إلا نادراً.. وها هي تقاتل من أجله وكأنه أهم ما في العالم.. أضاف صوت بارد في عقلها: وهذا أمر ممكن..

ارتفع حاجبا كريغ قليلاً بسبب ثورة كورين، لكنه لم يعلق.. مع أن عينيه استقرتا على وجهها لحظات طويلة. فهمت بغباء صمته إذعاناً..

قالت بشيء من انقطاع الأنفاس: «أظنك فهمت الرسالة».

وأدارت الراديو مرة أخرى.

أصدر كرسيه صريراً مزعجاً فوق أرض المطبخ.. وقف لينتزع الراديو الذي رفعه عالياً فوق رأس كورين.. ثم انتزع القابس الكهربائي من مأخذ الكهرباء في الجدار، ووضع الراديو بعنف قربه على المائدة.. وما هي إلا لحظات حتى كانت البطاريات مكومة فوقه.

ـ أعده لي!

هجمت كورين عليه حيث امتدت يدها لأخذ البطاريات منه. الواضح أنه كان يتوقع حركتها لأنه ضرب الراديو فوق المائدة بغض النظر عن سلامته، ثم مد ذراعه يصد هجومها وينحيها جانباً بدون جهد يذكر.

قال محذراً: «لن أعطيك شيئاً سيدتي».

أبقاها على بعد ذراع منه وكان غضب بارد يحترق في أعماق

عينيه:

ـ قلت لن أعطيك شيئاً!

بدا الصوت الهامس خطيراً الآن، فشعرت شعور المهزوم لأنها عرفت أن جهودها لن توصلها إلى أي مكان.. إن كريغ يمسك بها بسهولة، وبأقل جهد، ولو قاومته أكثر من هذا لشد عليها قبضته، ولمارس ضغطاً مضاعفاً.

قالت لنفسها بحزم: توقفي الآن! لا تتحديه فالتحفظ في الوقت الراهن يبدو أفضل سياسة.. انتظر كريغ بهدوء حتى هدأت مقاومتها فتركها، ثم قال متجهماً:

ـ ربما الآن أستطيع تناول وجبة طعامي بهدوء.

دام الصمت الثقيل الذي ران فترة الطعام كلها، ولم يقطعه غير عرضه في نهايته بأن يصنع القهوة.. عندما كان يتقدم إلى الطباخ نظرت كورين إلى البطاريات التي ما تزال على الطاولة.. بإمكانها بسهولة أخذها ولكنها بذلك تخاطر بالتعرض لهجوم جديد.

ارتجفت كورين.. إنها بحاجة إلى الحذر، وإلى ما يذكرها بأنها غبية لأنها وثقت بهذا الرجل.. لقد نسيت في خضم قلقها عليه في الصباح أن عليها أن تضع سلامتها أولاً. ألم يكن ببالغ بردة فعله؟

فجأة، قالت تتحداه وهي تحس بقليل من الثقة:

ـ ما هو الشيء المريع في سماع الأخبار؟.. ماذا تحاول أن تخبىء؟

ـ آه! هكذا هو الأمر إذن؟

كانت الضحكة التي رافقت كلامه خالية من أي مرح:

ـ تظنين أنني أخاف أن أسمع شيئاً عن نفسي.. أليس كذلك؟ يا لمخيلتك النشطة!.. ولكنني أشك كثيراً في أن يستوجب ما

فعلته البروز في العناوين.. لذا تخلي عن الفكرة.

ـ لن أتخلى عنها!

لا شك أن هناك ما لا يريد منها أن تسمعه.

أضافت: «أنت من بدأت الحرب العالمية الثالثة من أجلها».

تنهد: «إلهي امنحني الصبر! منذ متى أنا مضطر إلى تفسير كل شيء؟ لا.. لا تردي على هذا. أرد أنا.. منذ دخلت إلى منزلك بلا دعوة.. صحيح؟ حسناً، جربي هذا الرد إذن.. أنا لا أعرف.. ما حدث كان مفاجئاً لي بمقدار ما كان مفاجئاً لك.

التوى فمه بمرارة بسبب عدم الثقة على وجهها. وتمتم ساخراً:

ـ أنت سألتني.

ـ سألتك لأن لي كل الحق في السؤال.

ضرب غلاّية الماء بالمائدة بشدة، فابتلعت كورين ريقها بصعوبة.. لو فتحت الراديو في وقت أبكر، حين كان كريغ في غرفته لسمعت موجزاً إخبارياً باكراً، ولسمعت ما يعطيها ولو دليلاً صغيراً عما إذا كان يجب أن تساعد هذا الرجل أو تكرهه..

قال كريغ وقد عاد إلى المائدة ليناولها كوب القهوة، قبل أن يجلس قبالتها:

ـ حسناً.. لك الحق أن تعرفي.. لكنني لا أستطيع أن أخبرك ما لا أعرفه عن نفسي.. لو أردت أن أثبت لك من أنا لكان الأمر أسهل بكثير.. لكن كيف أبرهن اللاشيء؟ لم يساعدني التفكير في الأمر بل كنت كمن يضرب رأسه بجدار صلب.

ارتشف القليل من قهوته، ثم قال بلهجة شبه مرحة:

ـ أحياناً، أشعر بأن هناك شيئاً ما في ذاكرتي.. وكأن كل ما عليّ أن أفعله هو أن أمد يدي لأمسك به.. ولكن ما إن أحاول

إثباته حتى يختفي ليحل محله مجرد ألم. لقد تلاشى من ذاكرتي ثلاث وثلاثون سنة.. هكذا!

فرقع أصابعه ليركز على كلماته.

سحب نفساً عميقاً ملؤه الاضطراب فتساءلت عما إذا كانت ستجرؤ على قول الفكرة التي وثبت إلى عقلها.. قالت بحذر وهي تحاول تأمل الأرض:

ـ ربما يجب عليك إجبار نفسك على سماع الأخبار.

ارتفع رأسه بحدة: «لماذا؟»

ـ قبل كل شيء قد تخبر الإذاعة المحلية ما إذا وجدت سيارة.. ما زلنا نجهل إن كان هناك أحد غيرك مصاب.

ومضت عيناه بحدة، فأجفلت كورين، هل لامست في نفسه كابوساً يراوده؟ وقاومت لتكمل:

ـ وثمة أمر آخر، إن مجرد سماع الأخبار قد يحرك فيك شيئاً، ويدفعك إلى التذكر.

صرخ بحدة:

ـ كورين.. لا أستطيع! على أي حال، لا نعرف ما قد نجد، ومن الأفضل من أجل راحة بالك ألا نتعمق.. إن فقدان الذاكرة قد يعني أن هناك ما لا تتحملين تذكره.. والله وحده يعرف ما هو هذا الشيء.

ـ لا يمكن أن يكون شيئاً فظيعاً!

ذهلت لما قالت وصدمتها قناعتها.. كان رد كريغ ممزوجاً بالمرارة:

ـ تبدين شديدة الثقة بما تقولين.. كورين، يا حلوتي البريئة، كيف لك أن تكوني متأكدة؟

هزت كورين رأسها بارتباك.. لم تكن تعرف.. بل كان

حديثها نابعاً من قلبها فقط.. نظرت متوترة فيما كان كريغ ينحني إلى الأمام فجأة وعيناه تبحثان في عمق عينيها..

قال بعذوبة فائقة: «لا يمكنك أن تثقي بي.. لا أعرف ما الذي يجعلني أتصرف على هذا النحو. أقوم بأشياء بدون أن أفهم سببها، وقد يعني هذا كل شيء أو لا شيء، لا وسيلة أمامي لأعرف.. ولكن من أجلك أنت، ابقي بعيدة.. ولا تثقي بأي شيء أقوم به».

لا يمكنك الثقة بي.. دوت الكلمات في رأس كورين.. إن الرجل الذي يوثق به هو وحده الذي قد يحذر الآخرين من عدم الوثوق به هكذا؟ أظهر كريغ منذ البدء تقديراً حساساً لموقفها.. لقد فهم الخطر الكامن فيه أكثر مما فهمته هي.. ولهذا ابتعد عنها ليلة أمس.. وهذا ما لم تكن قادرة على أن تفعله بنفسها..

قالت: «إذن.. ليلة أمس..»

تنهد بعمق:

ـ ليلة أمس؟ كان الأمر ليلة أمس مختلفاً.. كورين، يجب أن تفهمي، انني الآن لا أعرف أحداً سواك.. وأنت فتاة جميلة بل خلابة. قد أقع في حب كبير معك إن تركت نفسي.

ها قد عادت مجدداً خفقات قلبها المجنونة. لماذا يعني لها الكثير مجرد أنه يجدها جذابة؟

أضاف: «لا أريد أن أجرحك.. لكن يجب أن تفهمي الحقيقة من أجلك أنت. يجب أن تفهمي أن هذا لا يمكن أن يحدث. ليس بيننا.. ليس لنا مستقبل أنا وأنت.. ولا أستطيع أن أجزك معي.. ليتك تعرفين كم كرهت نفسي لأنني عانقتك بغير حق.. كنت منشوشاً، نصف فاقد للعقل، وكنت معي.. لو كانت معي امرأة أخرى لرغبت فيها كما رغبت فيك».

كان في حلق كورين طعم مرير. لقد رغب فيها لأنها كانت هناك بكل بساطة والأنكى أنها استجابت له بكل غباء وجنون. دار عقلها وكأنه تلقى ضربة قوية.

كان كريغ طوال هذا الوقت يبعد نفسه عنها، لكن، حينما وضع يده على يدها فوق المائدة، اخترقتها لمسته بشراسة، تمزقها إرباً إرباً. نفضت يده بعنف عنها، وهبت واقفة، بحركة أدّت إلى وقوع الكرسي.

ـ لا تلمسني!

دوّت الصرخة المرتفعة الوتيرة في المطبخ الصغير، وارتجفت كورين لسماع صوتها..

أضافت: «أي نوع من المخلوقات أنت؟ أنت لست برجل.. أنت حيوان! قد تكفيك أية امرأة! ولكنني لست أية امرأة. لذا لا تظنني امرأة رخيصة اشتريتها.. أنا إنسانة مفعمة بالأحاسيس ولكنك دست عليها! حسناً.. اسمع ما سأقوله! إن وضعت اصبعاً عليّ مرة أخرى فستندم على ذلك ما تبقى من حياتك.. مفهوم؟»

ـ كل الفهم.

كاد رده الخالي من الأحاسيس يطيح بعقلها:

ـ أهذا كل ما عليك أن تقول؟

كانت العينان الزرقاوان اللتان ارتفعتا إلى وجهها باردتين وعميقتين كبحر في ليلة شتوية، وبدا أن ملامح وجهه قد ازدادت حدة، وأن فمه أصبح مجرد خط رفيع قاسٍ. لو اتخذ الشيطان يوماً شكلاً آدمياً، لبدا بالتأكيد شبيهاً بكريغ الآن.

ـ وماذا هناك لأقول؟ لقد قلت لك الحقيقة.

ـ هذا ما فعلته فعلاً..! وأنا أشكر لك صراحتك.. على الأقل بت أعرف الآن أي نوع من الحيوانات أتعامل معها.. ابق

حيث أنت! لا تقترب مني! فهذه المسافة هي الحد الذي أتحمله للبقاء في غرفة واحدة معك!

ـ كورين..

إن سماع اسمها من فمه أكثر مما تتحمل، فصاحت:

ـ لا تكلمني! لا أريد سماع كلمة منك! ليتك لم تأتِ إلى هنا! ليتك ذهبت إلى الجحيم! ليتك كنت في الخارج حيث الثلج أو في أي مكان غير منزلي!.

غرفة الجلوس دافئة في يوم هكذا، والستائر مسدلة بحيث حجبت منظر الليل، والنار ترمي وهجها الوردي على كل شيء. لكن سعادة كورين بهذا المنظر فُسدت عندما دفعت بطبق طعامها الفارغ وارتدت لترى كريغ ينظر إليها.

بدا متعباً بشكل يائس. كانت عيناه قاتمتين من فرط الإرهاق المؤلم الآتي من الضغط النفسي لا من النشاط الجسدي.. لم يترك هذا يظهر عليه، فقد أصر على المشاركة في أعمال البيت من غسل الصحون إلى وضع الفحم في النار، مع أن كورين لاحظت أكثر من مرة ما يدل على شعوره بالألم وذلك من خلال نقصان مستوى الأقراص في زجاجة الأسبرين بشكل ظاهر، ومن خلال تلاشي اللون من وجهه ومن الطريقة المرتبكة التي كان يرفع فيها رأسه، مما أجبرها، على مضض، أن تعرض عليه تنظيف جرحه مرة أخرى، وبالتأكيد رفض عرضها.

ما جرى بينهما من حديث كان مؤدباً. لقد تعاملا وكأنهما هران متعاديان.. حين قال كريغ بثبات إنه سيحضر وجبة المساء، لم يكن لدى كورين القوة أو الرغبة في الجدال.

الآن، وقد تقوت بالطعام اللذيذ المذاق، وبدفء النار الذي أذاب عنها بعض الحذر البارد الذي غلفها بعد الظهر.. أحست

بأن عليها على الأقل أن تظهر بعض الامتنان لجهوده، وأن تتظاهر بشيء من الأخلاق المتمدنة.

قالت بجفاء بصوت غريب لأذنيها:

ـ كان هذا جيداً.

لاحت على شفتيه نصف ابتسامة:

ـ شيء واحد لم أنسه وهو القراءة. لقد قرأت الوصفة، لكنني غير ماهر في الطبخ.. لذا بإمكانك شطب هذه المهنة عن لائحة أعمالي الممكنة. انتهينا من التين ولم يبق أمامك سوى الفين.. بعدما ننتهي من معرفة ماهية عملي.. ماذا سنفعل؟

حثها صوت حاقد صغير في عقلها فنظرت إلى عينيه مباشرة، بتعابير بريئة، وقالت بعذوبة:

ـ ربما نبدأ لعبة أخرى وهو معرفة ما اسم زوجتك.

رأت المرح يتلاشى عن وجهه، واسودت عيناه فجأة وأدهشها أن تشعر بأن انتصارها ش مع أنه لامس فيه وتراً حساساً. ورأت بهذا فرصة لتنتقم للجرح الذي عانته على يديه، فاستغلتها دون تفكير، لكن هذه الفرصة لم تمنحها السعادة. قال لها بصوت منخفض:

ـ تعرفين حقاً كيف تغرزين السكين.. أليس كذلك؟ لكن لماذا التوقف هنا كورين؟ لماذا لا نعمل على معرفة اسم الصبي الصغير أيضاً؟ لم تنسي بالتأكيد أن في الصورة طفلاً؟

أجفلت كورين بسبب مرارة لهجته.. وكانت قد بدأت تندم على رغبتها الطفولية في الانتقام.. أخذت الشكوك التي كانت تحسها بشأن صحة فقدانه الذاكرة تضعف أمام الإحساس الذي تراه على وجهه.. فتوسلت إليه بالسة:

ـ كريغ.. لا تقل هذا!

ـ ما بالك كورين؟

أرسلت السخرية التحريرية في صوته رجفات باردة على ظهرها..

أكمل: «أليس الانتقام حلواً كما يقال عنه؟»

هزت رأسها: «لا.. ليس كذلك.. وأنا آسفة! ما كان علي أن أقول هذا، كان غباء وقسوة. ولا أعرف ما الذي دهاني لأقول ما قلت».

رد منتقداً:

ـ ربما بدأت تتعلمينه.. وإذا كان هذا يريحك، أقول إنني كنت أتوقع شيئاً كهذا.. لا يمكننا الاستمرار في تجاهل موضوع الصورة والادعاء أن.. أن..

فجأة تعثرت الكلمات على شفتيه واضطربت عيناه اللتان ، فع يده يحميهما من النور. بدا رجلاً نصف واعٍ، يكافح ليخا سه من حلم مزعج.

* * *

٧ ـ جحيم رجل

تسمّرت كورين في كرسيها ولم تجرؤ على التنفس.. أحست بالغريزة أن ذكر زوجته قد أرسل صدى إلى ذاكرته. وهذا ما حدث له هذا الصباح عندما ذكر أحدهما شيئاً. عمّ كانا يتحدثان..؟ عن البراد؟ لا.. بل عن التلفزيون. لا بد من وجود صلة ما، كان عقلها يدور بسرعة ويتقلب ما بين الأمل والخوف. الأمل أن يجد صلة ما مع ماضيه، والخوف من العزلة التي ستتبع هذا، إن فشل.

وماذا عنك؟ همس لها صوت صغير شرير بذكرها بأنها ستخسره، حالما تعود إليه ذاكرته فيتذكر زوجته وطفله. هزت كورين رأسها بغضب، ليس لديها ما تخسره! لقد لجأ كريغ إليها في لحظات يأس.. وهو لا يريد سوى التواصل مع آدمي آخر..

تذكرت متأخرة الرجل الجالس قبالتها.. كانت حركتها رغم خفتها كافية لجذب نظره، وإلهائه. رأت بقلب واجف الطريقة التي ارتدّ فيها رأسه. سمعته يلعن بصوت هامس غاضب.. ولم يكن بإمكانها غير الانتظار حتى يحرق غضبه نفسه.

فجأة هبّ على قدميه واقفاً وكأنما لم يحتمل الجلوس.. راقبته بقلق يتحرك قائلاً، بصوت لا يسيطر عليه:

ـ أحتاج إلى ما أشربه.. أترغبين في القهوة؟

ـ أنظن أنه يجب أن تشربها.. أنت لم تأكل شيئاً.. و..

قال بصوت عذب ملؤه شر مميت:

ـ انزلي عن ظهري كورين.. فأنا أفضل الذهاب إلى الجحيم على طريقتي الخاصة، وسأكون شاكراً إن لم تتدخلي.

ـ كريغ.. لا تفعل هذا بنفسك!

قلدها ساخراً:

ـ كريغ لا تفعل هذا بنفسك! ابتعدي عن حياتي سيدتي.. فما فيها خاص بي، وإن كنت أريد أن أفعل شيئاً، فسأفعله.

جعلها الألم والاستياء من الطريقة التي أبعدها عنه مرة أخرى تغضب.. فقالت بشراسة:

ـ لا أستطيع موافقتك الرأي على شيء كما أوافقك على ما قلته لتوك.

وقفت تجمع الأطباق التي راحت تضربها فوق بعضها بعضاً. تعرف أنها لا تعني له شيئاً..

ـ سأتركك إذن بمفردك.

ـ هذا يناسبني تماماً.

عندما أدار ظهره إليها، ترددت.. فقد تلاشى غضبها بالسرعة التي تصاعد فيها.. تعتقد أنه لا زال يعاني من ارتجاج في المخ.. ولكنه وهو في مثل هذا المزاج قادر على استخدام العنف، هذا إن حاولت إقناعه بالراحة.. ارتجفت لأنها تذكرت اللحظات التي أخذ منها الراديو، وعرفت أنها اكتفت من تجربة قوته الجسدية التي لا تنكر.

قطع صوته البارد عليها أفكارها:

ـ أما قلت إنك ستتركينني بمفردي بسلام؟

ـ السلام ليس الكلمة الصحيحة! أظنك تقترب من الجحيم الذي ذكرته بنفسك.. اسمع أنا أخرج متى يحلو لي فهذا منزلي.

ـ وهل بإمكاني نسيان ذلك؟ لماذا لا تسجلين حساباً لما أديته لك من طعام وإقامة على أن أسدد لك الحساب عندما أغادر.. هذا إن كنت ممن يملكون المال.

لسعتها كلماته كالسوط.. ولكنها كانت الآن أكثر وعياً للدلائل الصغيرة المربكة التي لا يستطيع إخفاءها كلياً. لقد تعرفت إلى آلية دفاعه السري في المرارة والعبث.. الآلية التي يستخدمها عندما تسوء الأمور كثيراً.. وتصبح مؤلمة.

ليتها تركته قبل الآن ببضع ثوان أي قبل أن ترى ما رأت على وجهه، ولهذا كانت ستبقى غاضبة.. لكن يبدو أن قدرها هو الاقتناع بالمشاعر المتضاربة فيما يختص بهذا الرجل.

سمعته يتمتم من بين أسنانه:

ـ اخرجي من هنا، ودعيني بمفردي.

ـ كريغ..

ـ اخرجي..!

ـ سأخرج.

إن لم يكن يريدها قربه فلا شيء قد تفعله.. تشعر الآن بأن زلزالاً ضرب الغرفة فشقها فأصبح كل واحد منهما على طرف هوة واسعة..

ـ إن كنت تريد تدمير نفسك فهذا شأنك.. لكن لا تتوقع مني أن أجمع القطع المتناثرة منك في الصباح.

التقطت الأطباق وسارت نحو الباب، وكادت تصبح تقريباً خارج الغرفة عندما تحرك فجأة، وأمسك بذراعها، ليشدها إليه، صائحاً:

ـ لا! بالله عليك كورين لا تذهبي.. ابقي معي، وكلميني.. أرجوك.

في صوته صيحة ألم ويأس، وفي عينيه صدمة، وكأنه تلقى لتوه ضربة هائلة.

تسمرت كورين في أرضها مترددة، ممزقة بين الرغبة في البقاء، وبين الرغبة في نفض يدها عنه والخروج في أسرع وقت ممكن.. أخذ كريغ الأطباق من قبضتها بلا مقاومة ووضعها مع كوب قهوته على طاولة قريبة.. ثم أدارها بلطف نحوه ووضع كلتا يديها بين يديه، يمسكهما بخفة وتردد، كأنما يخاف أن تصدّه بعنف.

قال بصوت أجش: «سامحيني.. لم أكن أعرف ما أقول.. لا بد أنني فقدت عقلي.. لمست في ثوانٍ شيئاً عن نفسي، ثم انفجر في وجهي، وأخشى أن تكوني علقت ما بين نارين.. لم أكن أعني شيئاً مما قلته.. أقسم لك».

ردت بصوت شبيه بخيط رفيع وعيناها متجهتان إلى الأرض:

ـ بدوت وكأنك تكرهني.

ـ ليس أنت كورين.. لا أستطيع أن أكرهك.. أظن أنني كرهت نفسي كثيراً.. وكرهت هذه الورطة اللعينة التي زججتك فيها.. ظننت أنني قادر على التعامل معها بنفسي.. فلديك ما يكفيك من مشاكل مع وجودي هنا.. ولكن، حينما رأيتك متوجهة إلى الباب عرفت أنني لن أطيق الانفراد بنفسي مع الفراغ.

أخيراً، وجدت كورين القوة لترفع عينيها إلى عينيه، وما إن فعلت حتى عجزت عن إشاحة بصرها بعيداً عنه. لقد شاهدت من تصميمه العنيد أنه يأبى أن يبدو عليه أقل ضعف أو تشوش. ولكن ما وجدته أمامها الآن كان رجلاً مرتبكاً، متألماً، ضعيفاً، اعترف أخيراً بأنه بحاجة إليها.

وقع شيء ما بينهما.. شيء لامس أسس علاقتهما ورفعها

إلى مستوى جديد.. أحست كورين بسرور ممزوج بهدوء جليل.. وكأنما غرست بذور زهرة رائعة الجمال، زهرة هشة ستحتاج إلى الوقت والعناية لتبلغ كامل بهائها، وهي قانعة بانتظار نموها ومراقبتها.

تأوه كريغ: لم أقصد أن أجرحك.. أنا آسف جداً كورين، أرجوك قولي إنك سامحتني.

قالت تطمئنه بصوت رقيق: «سامحتك ونسيت».

أحنى رأسه وكأنه يريد معانقتها ولكنه تردد، وكأنما تذكر كلماتها الغاضبة، أرادت أن تعقد ذراعيها حول عنقه وتشد رأسه إليها.. ولكنها عندما أوشكت على الحراك عرفت أنها ترددت لحظة، تحرك خلالها كريغ مبتعداً، مبقياً يدها بيده ليعيدها إلى مقعدها قرب النار ثم جلس قبالتها.

قال ببطء وهو غير قادر رغم جهده على بث الحياة في صوته:

ـ أخبريني عن نفسك.

بدا وكأنه رجل لامس الجحيم وما زال يحمل ظلال الرعب معه.

سألته مترددة: «ماذا تريد أن تعرف؟»

قال لها حدثيني، ولم تستطع أن تعرف إن كان يريد حقاً أن يعرف شيئاً عنها أم يريد الإصغاء ليملأ الفراغ الأسود.

ـ أريد معرفة كل شيء عنك.. أحس أنك جزء من حياتي.. وكأنما كنت فيها دائماً. ولكنني، مع ذلك لا أعرف شيئاً عنك، كما لا أعرف شيئاً عن نفسي.

ما إن بدأت الكلام حتى وجدت أن الكلام يتدفق منها بسهولة.. أخبرته عن دراستها في كلية الفنون، عن حلمها بأن تصبح مصممة ملابس حرة، حلم بدا لها مستحيلاً حتى عرفت أنها

ورثت عن عمتها الكبرى هذا الكوخ إضافة إلى مبلغ من المال يكفيها مدة سنة أو سنتين حتى تنطلق. شرحت له أنها الابنة الوحيدة لوالدها، وارتجف صوتها وهي تتحدث عن موت أمها وهي في الثانية عشرة من عمرها. وكانت ستقف عند هذا الحد لكن أسئلته اللطيفة استأثرت بها حتى وجدت نفسها تخبره كم تفتقد الدعم والتفهم اللذين لا تؤمنهما غير الأم.

لم يدفعها كريغ إلى أكثر مما أرادت، لكن استجابة إلى تعليقاته الهادئة، وجدت من السهل أن تكون صريحة في الاعتراف بأنها لم تستطع تقبل زواج أبيها ثانية، بعد خمس سنوات على وفاة أمها.

ـ أنا وجوانا، زوجة أبي لم نتفق معاً.. لم يكن الزواج عقب قصة حب.. كان أبي وحيداً وأرادت جوانا من يعيلها، ويؤمن لها الراحة المادية.. لذا كان زواجهما ترتيباً ناسبهما ولكنه لم يناسبني.

سألها: وما يناسبك؟ لقد أخبرتني عن طموحك.. لكن هل أنت فتاة عاملة فقط؟ أجد من الصعب أن أصدق بأن فتاة جذابة مثلك، ليس في حياتها رجل.. هذا عدا «رسل» الخيالي.

ردت ببطء محاولة تصور هانك أمامها:

ـ كان هناك رجل..

لكن الصورة رفضت أن تتشكل.. تذكرت فقط تفاصيل منفصلة. عندما أغمضت عينيها لتركز، وجدت وجه كريغ يطوف أمامها.

سألها بلطف: «كان؟»

ـ تزوج فتاة أخرى.

اهتز صوتها قليلاً وهي ترد.. وأحست بالارتباك، ظنت أن

علاقتها بهانك ستقود إلى الزواج.. لذا، أحست بالدمار عندما أخبرها بأنه سيتزوج جاكي.. في ذلك الوقت لم تعتقد أن هناك ما قد يؤلمها أكثر من ذلك.. لكنها الآن لا تحس بالألم أو بندم طفيف.

ـ هل عرفته مدة طويلة؟

ـ سنوات. لقد انضم إلى طبيب العائلة كمتدرب، قبل زواج أبي بقليل.

ـ وأحببته.. لكنه لم يحبك.. فهمت.

أرادت أن تقول محتجة: لا، لم تفهم.. أخيراً تمكنت أن تفكر في هانك بوضوح بعيداً عن سيطرة جرح كرامتها على المسألة. تستطيع أن ترى الآن أنها أحبته، ولا تزال، إنما كشقيقة تحب وتعجب بأخيها الأكبر.. لا أكثر.. بدا لها وكأن آخر السلاسل التي تربطها بالماضي تنحطم فجأة وتقع بعيداً، وأن إحساساً منعشاً بالحرية والتجدد ينطلق في داخلها.

جاء صوت كريغ من بعيد، وكأنه خطا بضع خطوات عنها:

ـ ستجدين غيره، فما زلت صغيرة. كم عمرك كورين؟ تسعة عشر؟ عشرين؟

ـ أقارب الثالثة والعشرين!

ـ لا تبدين بهذا العمر مع أنك داخلياً ما زلت طفلة بريئة حقاً.

ردت ساخرة: «وتعرف كل شيء.. على ما أعتقد؟»

عاد الغضب يغلي مجدداً، وهذا بحد ذاته يصيبها بالاضطراب لأنها تعتبر نفسها معتدلة المزاج.. لم تكن ثورات مزاجها العنيفة التي خبرتها في الأربع والعشرين ساعة الماضية من خصائصها.

أضافت: «على أي حال، ثلاثة وعشرون عاماً يعني أني لست صغيرة».

التوى فم كريغ:

ـ آمل ذلك.. ولكن لا علاقة للعمر الجسدي بهذا.. في الحياة أمور كثيرة لم تمسك.. تعيشين محمية هنا في كوخك مع تصميماتك الجميلة.. لكنك لا تعرفين نصف ما في هذه الحياة، وهذا ما يجعلك بريئة إلى هذا الحد.

كان شعر مؤخرة عنقها يقف ذهولاً وارتباكاً، إذ حمل صوته رنّة الاقتناع، وتوقاً عميقاً لا يمكن الإتيان به إلا من معرفة أو تجربة، فكيف ذلك وهو فاقد الذاكرة؟.

قالت بلطف وهي تسيطر على صوتها لئلا يفضح شيئاً من إثارتها:

ـ لست عمياء كريغ.. أعرف أن في العالم معاناة كثيرة وحروباً عديدة.. ليس بمقدور أحد أن يغمض عينيه عن مثل هذه الأشياء.. خاصة وقت الميلاد.

ـ السلام على الأرض، والرجاء الصالح لكل البشر.. لكنك لا تعرفين ما هي الحروب، فكيف تعرفين وأنت جالسة هنا، آمنة سالمة؟ قد تقرئين الصحف والتقارير التي فيها لكن أحدهم قال يوماً إن أولى ضحايا الحروب هي الحقيقة.. وأنت كورين.. لا تعرفين أولى البديهيات عن الحقيقة!

أحست بجفاف شفتيها، فبللتهما متوترة قبل أن تحاول الكلام مجدداً.. لا عجب أن تكون ردة فعل كريغ عنيفة على تعليقها المازح على الجيش إذ لا شك أنه يتكلم عن خبرة.. لكن متى؟ وأين؟

هل ستجرؤ على دفعه قليلاً بعد؟ لم يكن لديها معرفة بهذه المواضيع، وتخاف النتائج عليه إن تعمقت في أسئلتها.. لكن، لم يكن فيما قاله ما يدل على الذكرى المروعة المدفوعة في ماضيه

المنسي. اقتنعت أنه بعد دقائق قليلة سيتذكر.

قالت بهدوء: «أخبرني عن الحقيقة، كريغ».

سرعان ما عرفت أنها تمادت.. فقد ردّ رأسه إلى الوراء، وضاقت عيناه إنما ليس قبل أن ترى بريقاً عنيفاً يضغط عليه ويحبسه.

تكلم بحدة: «إلام ترمين، كورين؟»

كادت تبكي من خيبة الأمل. كانت قريبة من الاختراق! ولكنها خاضت بلا وعي في موقف خرجت فيه عن طورها.. تحرك كريغ مرة أخرى مبتعداً عنها وقفز إلى دفاعاته.. لكنها لن تستطيع أن تتوقف الآن.

- ألهذا لا تريد الإصغاء إلى الأخبار؟ لأنك تعرف ما هي الحروب.. لأنك..

صمتت، وقد رفع يديه فجأة أمام وجهه في حركة دفاعية.

- لا تقولي المزيد!.. توقفي.. الآن!

- لكن..

- توقفي كورين.. لا تلعبي دور الطبيب حباً بالله! أنت لا تعرفين ماذا تفعلين!

- لكن كريغ.. لو فكرت في ما قلت.. حاول أن تتذكر، فأنا واثقة أنك ستتذكر! كل شيء موجود.. تحت السطح مباشرة.. و..

- كورين، كفى! لا أستطيع مواجهة المزيد.. ليس الليلة.

لم يرفع صوته، لكن الخطوط ازدادت عمقاً في وجهه، وشحبت بشرته الرمادية فندمت كورين على تهورها. ففي لهفتها لم تترك مجالاً لما مر به كريغ تلك الليلة. وعرفت أنها لن تستطيع المخاطرة.. فهو على شفير الكارثة.. وغلطة واحدة من جهتها

قد تدفعه من فوق الحافة.

لكن، كان ما زال بإمكانها أن تفكر.. كل ما حدث أعطاها أملاً بأن فقدان كريغ للذاكرة لن يكون دائماً.. لو جمعت كل شظايا الدلائل لبدأت برؤية الصورة.

لم تسأل كورين نفسها لماذا من المهم لها أن تفعل هذا.. ففي يوم واحد قصير أصبح كريغ جزءاً من حياتها بحيث لم تستطع أن تتصور كيف ستكون حياتها بدونه.. وهذا أمر خطير يخالف المنطق السوي ومن الممكن أن يكون أسوأ ما حدث لها، لكنه حدث، وكل الجدال المنطقي في العالم لن يغير ما حدث.

* * *

٨ ـ المجازف

طار قلم كوربن فوق الورق.. لم تحس قط بمثل هذا الرضى لشيء قامت به منذ زمن بعيد.. التصاميم جيدة، بل هي أفضل ما أنتجت. تاقت أصابعها إلى حياكتها على ماكينة الحياكة، لترى ما إذا كان الإنتاج النهائي متناسباً مع تصورها له. كانت غارقة في عالمها الخاص كثيراً لذا انتفضت بعنف عندما تقدم كريغ منها.

ـ كنت سأعد بعض الشاي.. أتريدين بعضه؟

راقبته يخرج من الغرفة وتقطيبة تغير وجهها.. حين أصر على أن تتابع عملها، وكأنه غير موجود، شكت أن يكون هذا ممكناً. طالما فضلت الانفراد حين تعمل. وكانت تجد أياً كان، حتى هانك ملهاة لها. لكن كريغ كان هادئاً صامتاً حتى كادت لا تلاحظ وجوده معها في الغرفة.

ازدادت تقطيبتها عمقاً.. لقد كان كريغ بعيداً بشكل يثير الاضطراب، ومشغول الفكر طوال النهار.. ليلة أمس تركها فجأة بدون أن يحاول إخفاء إرهاقه، ولكنه اليوم بدا أفضل حالاً، جسدياً على الأقل. لم يكن يظهر عليه ذاك الضعف الذي أخافها بالأمس، لكن، لم يكن لديها فكرة عن حالته النفسية.. ولم يحاول أن ينجدها، وكأن الانفتاح بينهما لم يكن قط.. أو ربما أحس بأنه كشف عن نفسه الكثير، لذا يبتعد عنها مرة أخرى..

كان التواجد معه كركوب قطار الألعاب في مدينة الملاهي، كلما ارتفع وظن ركابه أنهم وصلوا إلى نقطة ما عاد وانخفض بسرعة هائلة في لحظة واحدة.. كان يقرأ بهدوء في الساعات الثلاث الأخيرة.

أمهلها اليوم الطويل الصامت الكثير من الوقت للتفكير، ولإعادة النظر في شكوكها ومخاوفها، وموازنة مشاعرها وحدسها الذي خبرته الليلة الماضية أمام واقع أن ليس لديها دليل قاطع يدعم هذا الحدس. لم تعد تعرف في ما تفكر، وأحست أنها الآن أبعد عن الحل مما كانت عليه يوم وصول كريغ.

تخلت عن كل محاولة للتوصل إلى استنتاج ما، وعادت إلى العمل.. عندما عاد كريغ كان رأسها محنياً فوق لوح الرسم.. وضع الكوب قربها بدون أن ينفوه بكلمة. ظنته ابتعد مرة أخرى، لذا انتفضت حينما أحست بلمسة خفيفة على عنقها.. أبعد كريغ بلطف الخصلات البنية جانباً، وانحنى يلثم عنقها..

جمد قلمها بين أصابعها، وشدت عليه ثم أغمضت عينيها.. لكن نسمة الهواء الباردة على بشرتها بعدما رفع رأسه، أعادتها مجدداً إلى الأرض فتوترت.

شهقت معترضة: «لا تفعل هذا!»

أحست بتوتره وهو يقف خلفها، ولم تستطع إجبار نفسها على الالتفات وملاقاة عينيه الزرقاوين. بقيت يده البنية الرقيقة على عنقها، وأحست بحلقها يجف فجأة بسبب تفكيرها في القوة الكامنة في هذه الأصابع.. تتصور السهولة التي تتحرك بها لتطبق على عنقها.. رأت يده تنقبض بشدة ثم تبتعد عنها.

قال بصوت بارد رسمي:

ـ أعتذر.. نسيت أنك لا تحبين أن يلمسك أحد.. لن

يحدث هذا مرة أخرى.

ثم ابتعد ليجلس في مقعده، ويلتقط كتابه الذي وضعه أمامه حاجزاً.

رفعت كورين قلمها ببطء لمتابعة رسمها، ثم توقفت، ما زال طرف القلم فوق الورق.. تركيزها تلاشى وتبخر في الحرارة التي اجتاحت شرايينها بسبب لمسته..

ما الذي يحدث لها؟ تعرف أن مشاعرها نحو كريغ ليست سوى تجاذب جسدي فقط.. وتعرف كم من الخطر أن تستسلم لهذه المشاعر.. لكن، كل ما كان عليه أن يفعل، هو مجرد لمسها، وما حققته من تباعد وتحفظ كان يطير..

ارتفعت عيناها إلى الطيف الصامت الجالس في مقعده قرب النار. وتوقفت عيناها على خطوط جسده القوية. برز طول ساقيه المليئتين بالعضلات، بوضوح في الجينز الأسود الضيق..

عرفت أن كل ما عليها أن تشعر به نحوه هو الخوف وعدم الثقة، وقد خبرت الشعورين، ولكنها لم تستطع أن تخاف منه بما يكفي للتغلب على المشاعر الأخرى.

لماذا هذا الرجل دون غيره؟ كيف له أن يجعلها تحس بأن الأرض غير ثابتة تحتها وكيف له أن يجعلها تدور باتجاه هوة المجهول؟ عندما اعترفت بعجزها عن الإجابة، عرفت أنها تعترف كذلك، بأن كريغ سينتصر إن حاول مغازلتها مدمراً إياها وعرفت في الوقت ذاته بأنه إذا لم يحاول هذا، فستكون النتيجة دماراً مماثلاً.

حذرها كريغ من الأخطار التي يحملها تقاربهما الحميم الاضطراري.. وتذكرت ببؤس ما قال: ليس لنا أنا وأنت مستقبل منطقياً. عرفت أنه على حق.. ولكن عندما لمسها لم تفكر بطريقة

منطقية.

لم تظهر كورين يوماً أنها امرأة ترضى بالحاضر فقط. لقد تركت وفاة أمها هوة في حياتها.. هوة طالما حلمت أن تملأها بحب قوي دائم. وزواج أبيها الثاني بجوانا عاد فزاد من قوة هذا المثال. كان لديها آمال بمثل هذا الحب مع هانك.. معه كانت حاضرة للانتظار والعمل للمستقبل. ولكن مع كريغ لم تفكر في الانتظار، بل لم تفكر في ما عدا اليوم. أرهقت هذه المشكلة تفكير كورين التي لم تقترب من الحل عندما جلست قرب النار محتبية، بعد وجبة طعام غير مريحة صامتة. تركت اللهب الذهبي يهدئها بتأثيره المنوّم.

ـ ما هذا؟ إحدى تحف عمتك الأثرية؟

أجفلها صوته الذي أخرجها من تفكيرها، وقاومت لتركز نظرها على علبة سنديانية مصقولة كان يمسك بها.

ـ أجل.. كانت لها.. إنها لوحة للعبة النرد.. هي ملك العائلة منذ أجيال، وعمرها أكثر من مئة سنة.

قال: «على الغطاء كتابة ولكن معرفتي باللاتينية لا تخولني الترجمة.. أتعرفين ما معناها؟»

عبست مفكرة، محاولة أن تتذكر:

ـ لقد شرحت لي عمتي معناها.. آه، أجل، تذكرت «كما في الحياة كذلك في لعبة النرد، غلطة الشاطر بألف».

وقعت العلبة من يدي كريغ فوق الأرض، فتناثرت محتوياتها. ارتد كريغ بحدة، وقع أحد الأحجار المحفورة على شكل رجل قرب قدم كورين.. انتزعته عن الأرض شاهقة شهقة انزعاج.

ـ ولماذا لا تكون حذراً؟

جثت أرضاً لتستعيد العلبة.

ـ قلت لك انها قديمة جداً، وها أنت أتلفتها بقلة اكتراثك! لا تقف هكذا! ساعدني لالتقاط أغراضها! هل تسمعني؟.. كريغ! كريغ؟

توقف صراخها عندما نظرت إليه.. ثم تلاشى غضبها وحلّ محله تقلص مخيف في معدتها لأنها رأته يقف مترنحاً بلا ثبات، ويداه مضغوطتان بشدة على صدغيه متألماً.

ـ يا إلهي! كريغ! ما الأمر؟

أصبحت إلى جانبه في لحظة، تمسك ذراعه.. لكنه تمتم بشيء غير مفهوم، وانتزع ذراعه منها، ورمى نفسه على الأريكة متحشرج الأنفاس.

ـ كريغ.

خطت خطوة منسرعة نحوه، ثم تسمّرت مذعورة من انكماشه العنيف المفاجىء. كان التوتر ظاهراً في كل عضلات جسده. جلس محدودب الظهر وكأنه يتألم بشدة. شعرت بأن عليها الابتعاد.. كان انطواؤه في هذه اللحظات شديداً فعرفت أنه سينصرف بوحشية إن حاولت التدخل في عالمه الذي يغلفه.

لكنها لم تستطع تركه يعاني هكذا، يجب أن تحاول الوصول إليه، ليعرف أنه ليس بمفرده.. لم تكن تدري كيف تساعده.. بل كل ما تعرفه أن عليها المحاولة.

كان قلب كورين يخفق وهي تجثو على الأرض قرب كريغ، ولكن عقلها هدأ فجأة وهي تصبّ كل أفكارها على الرجل الجالس أمامها، تسحق في نفسها شوقاً إلى ملامسته ولكن إن لمسته ملامسة قد تجفله وقد تكون الصدمة خطرة.. لقد تسرعت من قبل ودمرت كل شيء.. هذه المرة يجب أن تكون أكثر حذراً. ضمت

يديها بعصبية في حضنها، تشد قبضتيها حتى ابيضت عقد أصابعها.. أجبرت نفسها على الحديث ببطء ووضوح.

ـ كريغ.. أتسمعني؟ أنت لست بمفردك.. أنا هنا وأريد مساعدتك.

لم يصدر رد عن الرجل الجامد الجالس على الأريكة.. عضت كورين على شفتها بقوة ولهفة وخيبة أمل.. لم تصل إليه، وتشك في أن يكون واعياً لوجودها.

حاولت مجدداً: «كريغ.. أرجوك أصغ إلي.. أرجوك دعني أساعدك».

شتم كريغ شتيمة عنيفة. كان صوته أجش، خشناً، فذعرت كورين من شراسته، ولكنه على أي حال، رد من نوع ما.

ـ هل تخبرني ما حدث؟

همهم بكلمات غير مفهومة، التقطت منها كورين اسماً فقط.

فسألته: «أي اسم؟ أتعني اسمك؟»

فجأة فتح عينيه لينظر أمامه مباشرة بدون أن يرى. بدا وكأنه يحاول التركيز على شيء بعيد.. بعيد جداً.

قال بحشرجة: «اسمي».

هل تجرؤ على طرح السؤال المتوقف على رأس لسانها؟ حاولت الكلام مرتين، خانتها أعصابها في المرتين.. في المحاولة الثالثة نجحت، مع أن صوتها كان متقطعاً من الإحراج.

ـ ما اسمك؟

امتد الصمت إلى ما لا نهاية.. ووجدت كورين نفسها تحبس أنفاسها، وهو يتمتم عن غير وعي:

ـ لعبة النرد، المجازفة.. اسمي كريغ.. ريسكر.. أي المجازف.

خرجت الكلمات ببطء مؤلم.. لم يكن يعني الألم شيئاً لكورين.. فلو كان اسم شخص مطلوب من قبل العدالة لتذكرته. تغير مزاج كريغ بسرعة وارتباك.. ارتفع رأسه.. تناقضت العجرفة والتحدي في وضعية فكه مع الطريقة التي كان ينظر فيها إلى كورين، وكأنه لا يراها، أو كأنه يرى شخصاً آخر غير مرئي، يقف وراءها.

قال بخشونة: «هذا كل ما سأقوله لك».

وضعت كورين بشكل تلقائي يدها على ذراعه.. لم تكن تعرف في ما يفكر ولكنه كان يستجيب، وآخر كلماته، مع أنها غريبة، كانت ملفوظة بصوت قوي حازم.

ـ لا بأس في هذا كريغ.. لا حاجة إلى إخباري بما لا تريد قوله.

أجفلته لمستها لذراعه رغم خفتها.. فنظر إلى أصابعها المستقرة على كنزته الرمادية ثم ارتفعت عيناه إلى وجهها، مقطباً يسأل بخشونة:

ـ من أنت؟

كان السؤال غير متوقع. فارتدت كورين على عقبيها وهي راكعة، يدها ترتفع إلى فمها لتمنع صرخة الصدمة التي ارتفعت إلى شفتيها.. جعلها العداء البارد في عيني كريغ ترغب في النهوض والهرب سعياً إلى الاختباء في غرفتها. كان لديها فجأة صورة حية عن اللحظة التي سحب منها السكين.

عاد كريغ ليقول مهدداً:

ـ مَنْ..

كانت الكلمة الوحيدة كافية لتدفعها إلى الكلام.

ـ أنا.. كورين.. كريغ.. كورين.. يجب أن تتذكرني.

ـ كورين؟ لا.. لست كورين.. أين جودي؟

فتحت كورين فمها لترد، ولكن بذرة فكرة نمت في رأسها.. لم يكن كريغ في أفكاره هنا، في كوخ «مورإند».. معها. بل في مكان يعرفه قبل أن يفقد ذاكرته. إنه الآن يعيش في الماضي!

قالت بحذر: «جودي ليست هنا بل أنا هنا فقط.. ومن هي جودي؟ هل هي زوجتك؟»

كان ملء النظرة التي صوبها إليها الازدراء، وقال ساخراً:

ـ لا تكوني حمقاء لعينة! ليس لي زوجة! هل كنت سأكون في جحيم على الأرض لو كنت متزوجاً؟ لكن.. جودي، ماذا..

تلاشى صوته، وأغمض جفنيه بإرهاق مفاجىء وبجهد ألمها ولكنه فتحهما ثانية ليسأل:

ـ كرري عليّ اسمك.

أعطت النظرة الحائرة المرتبكة التي طغت على وجهه، كريغ جواً من الضعف جعل قلب كورين يخفق بألم فأمسكت بيده، تلف يديها عليها، تشدها بقوة.

قالت ببطء وتركيز:

ـ أنا كورين.. كورين لايتلتون.. ونحن هنا في كوخ «مورإند» ألا تتذكر؟ لقد علقنا في الثلج أياماً.

ارتفعت يده الأخرى أمام وجهه، وكأنه يرد ضربة ما.. ثم وبعدما أحست كورين بأنها على وشك البكاء يأساً، هز رأسه، وغادرت نظرة الإرهاق الفارغة وجهه وعينيه وعرفت أنه عاد يراها، يراها حقاً، أخيراً!

قال بصوت أجش: «كورين».

وصمت.. لم يعد الغريب المخيف الذي كان منذ قليل.

صاحت نصف ضاحكة، نصف باكية فرحاً:

ـ أنت تعرفني!

رد بحدة: «بالتأكيد أعرفك! يا إلهي كورين، ماذا حدث؟»

ردت بلطف:

ـ لقد تذكرت، وعدت إلى ماضيك. كنت غير واعٍ، في مكان آخر، وزمن آخر.. كان الأمر رهيباً، لكنه انتهى الآن.. وعدت إليّ مرة أخرى بأمان.

ثم مالت إلى الأمام تلثم خده بلطف لأنها آمنت أنها بذلك تقدم له العزاء.. ولكنها لم تكن مهيئة نفسياً للسرعة والقوة التي استجاب فيها إليها.. فقد ضمها بين ذراعيه، ومنعها من الابتعاد.

بدا أن عقلها انقسم إلى شطرين، شطر منه كان يرحب بالعناق الشديد، أما الآخر فقد كان يرفضه بيأس.. ويقاوم الإحساس الذي يهدد باجتياحها.

حثتها غريزتها على التجاوب معه.. ولكنها لا تريد أن يكون الأمر هكذا.. لا تريد منه أن يلجأ إليها لأنه بحاجة إلى أية امرأة. صحيح أنها لن تستطيع الحصول على حبه، لأنها من غير ماضيه. ولكن على الأقل يمكنها التأكد أنه يريدها هي، لا أية امرأة. عندئذ فقط ستتمكن من تحمل حد السكين المزدوج.

استلقى كريغ إلى الخلف منتهداً يجذبها إلى جانبه حيث التفت ذراعاه حول خصرها.

قال: أخبريني بالأمر.. ماذا قلت؟

لم تدر من أين تبدأ.. فليس في عقلها غير الارتباك والتشوش. عندما أرادت أن تتكلم لم تستطع.

سألها بصوت متوتر ملؤه الشك:

ـ ما الأمر؟ هل هناك ما تخافين قوله لي؟

ـ لا.

ـ إذن أخبريني! حباً بالله كورين..

رفعت يدها إلى فمه: «أرجوك! سأقول لك كل شيء.. إنما، الأمر صعب».

سحبت يدها عن فمه وهو يزفر نفساً قوياً بتنهيدة خشنة وقال بهدوء:

ـ لا بأس.. فأنا أصغي إليك.

ـ قلت إن اسمك كريغ ريسكر.. وكنت متوتراً وعدوانياً، وكأنك كنت في موقف لا يطاق، وهناك شخص لا تثق به. لكن، كان في الأمر أكثر من هذا.. قلت إنك تعيش الجحيم على الأرض!

اشتدت اليد الممسكة بيدها بخفة عليها بشكل مؤلم.. وأحست كورين بالتغير المفاجيء في ضربات قلبه الثابتة تحت خدها، حتى اضطرت إلى المقاومة لتجد القوة للاستمرار.. فتذكر الكلمات التي قالها بوحشية ومرارة تؤلمها كثيراً..

سألها بصوت منخفض:

ـ أهذا كل شيء؟

هزت رأسها ترد ببطء:

ـ أظن أنه كان معك شخص آخر.. امرأة.. لكنها لم تكن زوجتك.. قلت إنك غير متزوج.

تمتم: «أمر مثير للاهتمام».

أجفلتها سخريته في صوته.. فلو أخذت ذلك التعليق على محمل الجد لظنت أنه يخدعها. لكنها الآن تدرك أن تعبيره يدل على خطر.

ـ هل كان لهذه المرأة اسم؟

ـ جودي.

نظرت إلى وجهه وهي تلفظ الاسم، فرأته يقطب مفكراً، ثم هز رأسه.. فسألته:

ـ ألا يعني لك شيئاً؟

ـ لا شيء.

ـ لكنك سألت عنها أكثر من مرة.. ويبدوت قلقاً يائساً من أجلها! من هي.. كريغ؟

ـ وكيف أعرف؟ لا أعرف امرأة اسمها جودي! لا يعني الاسم لي شيئاً.. أواثقة أن هذا ما قلته؟

ـ كل الثقة. سألت أين هي، ولم تتعرف إليّ.. لكنك كنت تتذكر زمناً لست موجودة فيه.

شاب شيء من المرارة صوتها.. أحست بألم شديد لأنها أدركت أنها غير موجودة في حياته الماضية كلها.

سألت: «أيمكن أن تكون المرأة التي في الصورة؟»

تلاقت عيونهما.

ـ ما رأيك؟

ـ لا أدري.. هذا ممكن.. على أي حال.. ليس من الضروري أن تكون متزوجاً لـ.. لـ..

ـ لأكون أباً للطفل؟ إن هذا صحيح.. أتظنين أن هذا هو ما أحاول الهرب منه؟ ربما يلاحقني طيش الشباب.

ـ كريغ.. كن جاداً.

ما الذي حدث للانفتاح الذي كان بينهما؟

ـ لكنني جاد.

نظرت عيناه الزرقاوان في عينيها اللوزيتين الناعمتين، وأسرتاهما. ازداد لونهما حدة حتى أصبحتا كالسماء في منتصف الليل.. ارتجفت كورين للنيران التي كانت تحرق كيانها.

ـ أحاول أن أكون جاداً. لكن من الصعب أن أفكر في شيء بوضوح، وقدك الميّاس الجميل قربي هكذا. يجب أن تعرفي ما الذي تفعلينه بي.. البقاء معك على هذا النحو يدفعني إلى الدمار.

قالت بصوت مرتعش:

ـ كريغ..

قاطعها متمتماً ممرراً يده على عنقها.

ـ قد نكون رائعين معاً.

لم تترك تنهيدته مجالاً للشك في أنه يعي سرعة نبضات الدم في شرايينها، ويعرف السبب في هذا، إذ لا أمل لها بإخفاء ما تحس به عنه.

تحرك قليلاً لينفرس بوجهها.

ـ هذه البداية فقط كورين.. لقد أردتك منذ وقع بصري عليك! عانقيني كورين! أريدك.. فأنت كل ما أعرف.. أحتاج إليك.. يا إلهي ما أشد حاجتي إليك!

تحول الدم الحار في عروق كورين إلى ثلج.. أحست أنها باردة كالأموات.. وفي عتمة دماغها تناهى إليها صوت باك راح يعذبها ويقول: «ليس بهذه الطريقة! ليس هكذا!»

أبعدت نفسها عنه متأوهة تدير رأسها نحو الوسائد لئلا تلتقي عيناها بعينيه.. عندما كانت بين ذراعيه شعرت أنها تلامس النجوم، ولكنه لم ينفوه بكلمة حب واحدة. لو أنه لم يقل تلك الكلمات القاتلة «أنت كل ما أعرف» فربما فكرت في التجاوب.. لكنه قال تلك الكلمات، وبهذا صفق الباب أمام المشاعر التي أحست بها.

تأوهت: «لا.. لا.. لا أستطيع».

ضحك كريغ، وكأنه لا يصدق، وقال مؤنباً:

ـ كذابة؟ لا أستطيع، لا شأن لها في هذا، ولا داعي لها.. يعرف كلانا أنها مجرد ادعاء.

بعد لحظة واحدة ستفقد السيطرة على نفسها كلياً.

لكن، يجب أن تفكر.. هي تتراجع إلى الوراء عن الهوة التي كادت تقع فيها.. فهذا ليس حباً أو رغبة.. إنه مجرد حاجة جسدية.. إنه يريدها مجرد رفيقة دافئة.

يريد أمرأة تبعد تفكيره عن الظلام فترة قصيرة وتساعده على النسيان، فهو الآن وحيد بلا ماض أو مستقبل.. وهذا لا يكفي كورين!

ـ لا!

دفعت يديها في صدره بقوة يائسة، فوقعت على الأرض بقوة رجّت لها كل عظامها، وأشعرتها بالغثيان.

ـ ما اللعبة التي تلعبينها كورين؟

كانت كلماته الهادئة مبطنة بغضب بارد اخترق الدوار الرمادي في رأسها، فأجلى الضباب الذي كان يغلفه.. وقفت بسرعة وذعر ترفع رأسها لتلتقي بعينيه..

ـ أنا لا ألعب.. أنا لا أريدك!

دوّت الكلمات بشدة في الليل الصامت..

ـ كذابة.

لم تكن كلماته توبيخاً هذه المرة، بل كلمات متوحشة زاد من حدتها أنه لم يرفع صوته.. من المفروض أنها اعتادت على طريقته القاسية، فلقد شاهدت منه ما يكفي في الوقت القصير الذي عرفته فيه..

أضاف بقسوة: «أنت تكذبين.. تكذبين عليّ وعلى نفسك».

صاحت يائسة: «لا!»

نهض كريغ فارتدت بسرعة مذعورة من العنف المكبوت في عينيه.

يا الله! لقد أساءت فهم كل شيء! لقد آمنت أن العنف في تصرفاته مجرد رد فعل على الضغوطات النفسية التي وجد نفسه فيها.. أرادت أن تؤمن بهذا! ولكن ماذا إن كانت مخطئة؟ ارتفعت يدها إلى عنقها بحركة دفاعية غريزية.

كان تأثير هذه الحركة الصغيرة عليه دراماتيكياً.. فقد توقف حيث هو وتلاشى الغضب الأسود عن وجهه، وأصبحت عيناه مفعمتين بمشاعر رأتهما من قبل في موقف مشابه.

همس بصوت كسير: «يا إلهي! ما الذي يصيبني؟»

رفع يده في حركة توسل غريبة ولكنه لم يلمسها، وكأنه خائف من ردة فعلها:

ـ كورين.. لا داعي لهذا.. لقد قلت لك ما أشعر به..

ـ هذا ما قلته!

انتزع كريغ يده إلى الوراء بسرعة عند سماعه صوتها.

أضافت: «لم تترك في نفسي شكاً بالنسبة لمشاعرك عندما شرحت لي كم كرهت نفسك لأنك عانقتني تلك الليلة. ولا تدعي أنك شعرت بشيء تجاهي فقد قلت بنفسك إن أية امرأة قد تكون كافية! حسناً.. الآن تعرف ما أحسست به في ذلك الوقت.. وها أنا أصدك كما صددتني!»

غادرت الألوان وجهه، وفقدت عيناه وميضهما الحي.. وبدتا فجأة جافتين.

ـ إذن.. هذا كل ما في الأمر.. لا شك أنني كنت أبله لأنني لم أشك في أنك ستنتقمين.. لقد صدقتك فعلاً عندما قلت إنك

سامحتني ونسيت.

ظنت كورين أنها تجاوزت مرحلة الإحساس بالألم.. لكن كلماته أصابتها بشدة حتى شعرت بالدوار والغثيان، وكأنه وجه ضربة لها.. قالت في أثناء جام غضبها كلمات غاضبة، مهينة مؤلمة ودمرت أي أمل بوجود ثقة بينهما.. وقد فات أوان الندم والتمني.

قال كريغ بصوت أجش متوحش ساخر بالنفس:

- كان يجب أن ألاحظ ذلك.. أليس كذلك! لكنك رميت فخك بحذر، أليس كذلك حلوتي؟

ظلت كورين صامتة، محنية الرأس تركز طاقتها لتبقى واقفة إذ كانت ساقاها تهددان بالانهيار... أجاب كريغ على نفسه:

- ليس لديك ما تقولينه؟ لا أظن أن هناك ما يقال بيننا.. ما تريدينه الآن هو الذهاب إلى مكان هادىء للاستمتاع بانتصارك الخبيث.. حسناً.. اذهبي.. أخرجي من هنا!

أشار بيده بعنف إلى الباب ثم ارتد عنها.

أخيراً وجدت صوتها: «لا تفعل هذا».

ارتد ببطء شديد.

- وما هذا؟ أهو الندم؟ كوني منصفة كورين.. أنت لا تعطينني شيئاً، فلماذا التذمر إن وجدت السلوان بالبقاء بمفردي؟

- كريغ.. ماذا تفعل بنفسك؟

رد ساخراً:

- ألا تعرفين.. ظننته واضحاً. إن كنت حكيمة اذهبي إلى غرفتك ولازميها.. لأنني أنوي الجلوس هنا لأفكر، وقد أصل إلى عمق نفسي كامل.. هذه المرة لن ينفع ما قد تقولينه أو تفعلينه.

٩ ـ الحب جنون

كانت ساعة المطبخ تعلن بأنها الثالثة عندما كانت كورين واقفة بباب المطبخ المفتوح تنظر إلى الخارج إلى حيث المنظر الكئيب أمامها. بدت الأشجار بارزة الآن بلا غطاء الثلج فوقها.. لقد انخفض ارتفاع الثلج إنشين أو أكثر. ولم يغير انهمار المطر المتواصل ليلة أمس من الموقف كثيراً.

لم يكن للقشعريرة التي انتابتها وهي تقفل الباب علاقة بالبرد القارس، أو بثياب نومها غير السميكة. لقد اضطرت إلى النهوض من الفراش بسبب إصرار رسل على الخروج.. وعندما كانت تفكر في المطر تذكرت عندما تركت كريغ وصعدت إلى غرفتها.. بعد لحظة من وصولها إلى غرفتها سمعت باب غرفة الجلوس ينغلق بقوة خلفها.

لم يكن لديها فكرة كم بقيت مستلقية يجفوها النوم. كان عقلها المرهق يفكر بجهد بالنتائج الممكنة من استمرار كريغ في عزل نفسه مفكراً. في المساء عرفت أن من الغباء الاهتمام بهذا. طوت يديها بقوة حتى كادت أظافرها تحفر في راحتيها.. لبثها قاومت ثورها. تأوهت بإحباط.. هل ينفع التمني؟

- لست نائمة إذن؟

لم تشعر بانفتاح الباب بسبب استغراقها في أفكارها. ارتدت

منسعة العينين دهشة فرأت كريغ واقفاً في الباب. كانت كلماته واضحة، جافة.. عندما أردف:

ـ لقد شاهدت النور في المطبخ. على ما يبدو أن دعواتك قد استجيبت.. الواضح أن الله يستجيب للفتيات الطاهرات العفيفات.. لقد حصلت على ما تريدين، إنها تمطر.

سألت وهي ترفع رأسها لتصغي إلى المطر الذي تساقط قبل الأوان المتوقع فيه سقوطه.

ـ هل سيذيب الثلج؟

التوى فم كريغ بمرارة لسؤالها:

ـ أمهليه بعض الوقت يا حبيبتي.. فما زال في بدايته.. إنما واظبي على الدعاء ليتحول هذا الرذاذ إلى مطر منهمر.. فمن يعلم، قد تتمكنين من رمي إلى الخارج غداً.

في داخلها ما أراد الصراخ باحتجاج على ما قاله، ولكنها أقفلت شفتيها على الكلمات المتهورة.. فهو لن يصدقها على أي حال.

أضاف: أصبح لديك الآن ما تتطلعين قدماً إليه.. أليس كذلك؟

ردت ببرود لتخفي بؤسها:

ـ اذهب إلى النوم كريغ.. أنت مرهق.

ـ لا أنكر هذا. لقد حاولت جاهداً لأنني أردت أن أنسى.

ضحك فجأة ضحكة فظة أخافتها.

ـ وهنا تكمن السخرية.. أردت أن أنسى أن حياتي ابتدأت منذ ثلاثة أيام فقط.. كما أردت أن أنسى نصف ما مر بها.. لأنك أنت تجدين هذه نكتة!

أجفلتها وحشية كلماته.. لقد قال الحقيقة.. من المتوقع

تحت تأثير الإرهاق أن تتساقط الحواجز، ولو قليلاً، لكن مزاجه الأسود أظهر أن تلك الحواجز ما زالت قائمة.

كررت: «اذهب إلى النوم كريغ».

ـ آه! سأذهب.. إنما اعرفي شيئاً واحداً.. لست متعباً، بل أنا أذكر كل ما حدث ليلة أمس.. ومن المحتمل ألا أنسى أبداً.. لذا ثابري على ابتهالاتك، كورين حلوتي، ليستمر تساقط المطر الذي سيذيب الثلج. لا أظن أن أياً منا يريد البقاء محجوزاً مدة أطول.

عندما كانت ترتقي السلم باتجاه غرفتها هزت نفسها مؤنبة. كانت تحس بالبرد يخترقها، وما إن وضعت قدمها على آخر درجة فيه حتى سمعت صيحة تأوه من غرفة كريغ.

تسمرت في مكانها تصغي بشدة.. تلتقط صوت تحرك خفيف في الداخل. جاء صوت كريغ من وراء الباب مخنوقاً.. حاولت تجاهله وارتدت إلى غرفتها، ولكن صيحة أخرى جعلتها تقطع الممر في لحظات.. ما إن فتحت الباب حتى أدركت أنها مجنونة لأنها ارتكبت هذه الغلطة الفظيعة.

سقط النور من الممر مباشرة على السرير، حيث كان كريغ مستلقياً على ظهره فوق غطاء متشابك.. كانت طبقة من العرق تغطي صدره رغم برودة الجو وكان شعره أشعث رطباً من العرق أيضاً.

كان للضعف على وجه كريغ بالمقارنة مع قوة جسده تأثير الضربة على معدة كورين. كان له حتى في منامه تأثير يثير الاضطراب فيها. أصبحت ساقاها غير ثابتتين تحتها، وكان من الأسلم لها لو تعود من حيث أتت لأن الفرصة ما تزال سانحة.. إن دخولها إلى غرفة كريغ يعني القفز فوق هوة المجهول وهي لا

تعرف إن كانت تملك الشجاعة أو القوة لتقوم بالحركة.

وفيما هي مترددة تحرك كريغ بقلق على الفراش، متمتماً أشياء غير مفهومة.. دفع صوته كورين إلى حافة الهوة.. فهرعت إلى السرير، وأمسكت بكتفيه، ثم هزته بلطف:

ـ كريغ.. استيقظ! أرجوك.. استيقظ!

استيقظ كريغ بسرعة مذهلة، والتفت بعنف ليمسك يد كورين قبل أن يفتح عينيه ثم قال بعنف وعداء:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

ـ كريغ أرجوك.. أنت تؤلمني!

أخفض عينيه إلى معصمها، وكأنه أدرك لتوه ما يفعل. تركها فجأة، وتلاشى العداء من عينيه ووجهه، وحل محله قناع أخفى كل التعابير.

قال بعقوبة مكبوتة:

ـ صباح الخير آنسة لابتلتون.. أظن أن الصباح قد انبزغ، أليس كذلك؟ هل انجرف الثلج وبت لا تقوين صبراً على الخلاص مني؟

قالت وهي مذهولة من عنفه:

ـ لا.. لا! ليس الأمر كما تقول.. لا أريد منك أن تذهب!

ـ إذن، ماذا تفعلين هنا؟

ـ سمعتك تصرخ.. كنت تحلم فقلقت عليك.

جلس في الفراش ببطء، يفرك عينيه بظاهر يديه:

ـ أحلم؟ يا إلهي.. أجل.. كنت أحلم.

كان وجهه مظلماً غير مقروء ولكن صوته خلا من السخرية التي قد تدفع كورين إلى الابتعاد.

قالت تتحداه: هل سيساعدك الكلام عن حلمك؟ لو أخبرتني

ما هو..

صمتت وهو يهز رأسه نفياً:

ـ شكراً كورين، لكن لا.. سيكدرك الحلم.. كان حلماً رهيباً. ولا أريد حقاً أن أتكلم عنه.

أخذ علبة السكائر عن الطاولة الصغيرة قرب السرير، ولكنه وجدها فارغة، فرماها بنفاد صبر. لاحظت كورين رغم هدوئه الظاهر، أن يديه غير ثابتتين.. نعم لقد رفض مساعدتها ولكن رفضه جاء بلطف وهدوء فأعطاها هذا شيئاً من الأمل.

فقالت بلهفة: «أود مساعدتك إن استطعت».

عندما لم يرد أمسكت يده:

ـ أرجوك كريغ! أريد أن أساعدك إن كنت قادرة على ذلك.

امتدت يده الأخرى ببطء تلمس خدها لحظة قبل أن يتركها..

كانت العينان الزرقاوان في غاية اللطافة وهو ينظر إلى وجهها.

ـ لماذا تفعلين هذا كورين؟

عبست كورين مرتبكة، فهز رأسه بارتباك ظاهر:

ـ لماذا تفعلين هذا؟ لماذا تتحملين كل ما أرميك به ثم تعودين إليّ وكأنك تطلبين المزيد؟ ألا تهتمين بنفسك؟ كلما هاجمتك بكلماتي أقول لنفسي: فعلتها هذه المرة، بعد الآن لن ترجع. ثم، ما إن أدير وجهي حتى أجد على وجهك نظرة الأمومة تلك. هذا أمر غير طبيعي! لا أحد يستطيع الغفران دائماً.. فلماذا كورين؟ لماذا تفعلين هذا؟

كان أول ما فكرت فيه أنها لن تستطيع الرد عليه.. فلا جواب لديها.. ثم نظرت إلى وجهه فرأته وكأنها لم تره من قبل.. ما زالت خصلة الشعر المتمردة تنسدل إلى الأمام رغم محاولاته في إبعادها، ورأت كذلك الكدمة البشعة.. رأت العينين الزرقاوين

المفعمتين بالشك والارتباك.. ثم اجتمعت كل القسمات في وجه كريغ مرة أخرى.. وأخذت الأرض تتوقف عن الدوران ثم تعود.. توقف الدوران في رأسها، وعرفت بوضوح كامل أن هناك رد واحد.. واحد فقط.. وكم أذهلها ألا تدركه قبل الآن.

قالت بهدوء إنما بقناعة شديدة:

ـ أظن أن السبب هو أنني أحبك كريغ.

أجفلت بحدة عندما اشتد ضغط يده على يدها، وتأوه:

ـ كورين.. لا! بالله عليك لا تتحدثي عن الحب!

كان وجهها شاحباً من الصدمة. لم تعرف كيف حدث هذا.. ولكن اعترافها بحبه حمل إلى قلبها سعادة فريدة. بعد اعترافها هذا عرفت أن هذا ما كانت تخشاه.. هذا هو المجهول.. الاهتمام بشخص ما أكثر من الحياة نفسها.. وهذا بدوره يجب أن يكون مع كريغ مهما كان الأمر، رغم كل الشكوك والمخاوف، والكلمات البشعة الغاضبة التي بدت فجأة عديمة الأهمية أمام قوة مشاعرها الغامرة. أدركت بعد مواجهتها الحقيقة أنها لم تعد خائفة.. لم يعد هناك مجهول.. فهي تحب كريغ حباً جماً.. وهذا هو المهم.

قال كريغ بصوت أجش غير ثابت:

ـ كورين، لا يمكنك.. أيتها البريئة الحلوة، لا يمكنك أن تحبيني.

ـ بل يمكنني وقد أحببتك وانتهى الأمر.

ـ لكنك لا تعرفينني! التقينا منذ ثلاثة أيام.

ـ الوقت غير مهم.

دوت كلمات هانك في رأسها.. وأحست أنها فهمتها الآن.

ـ ثلاثة أيام.. ثلاثة أسابيع.. ثلاث سنوات، لا يهم! ما ذلك

بقرار نتخذه بمنطق. يحدث الحب فجأة ويدركه المرء بغتة وحين يقع يصبح من المستحيل العودة إلى الوراء. وهذا ما حدث لي كريغ.. عرفت فقط أنني أحبك.

ـ أرجوك لا تقولي هذا.. أرجوك لا تحبيني كورين. الله وحده يعرف أنني لم أفعل ما أستحق به حبك. لا أتحمل هذه المسؤولية.

ـ مسؤولية؟ كريغ.. عم تتحدث؟ ليس هناك مسؤولية! أنا أحبك، أما أنت فغير مضطر للقيام بشيء.. يجب أن تتقبل الأمر فقط!

لم تستطع فهم ما يجري.. من غير المفروض أن يتم هذا بهذه الطريقة! لم تفكر في ما ستكون عليه ردة فعل كريغ عندما تعلن له حبها.. كان يكفيها الاعتراف.. ولكنها لم تتوقع هذا!

قالت مرة أخرى: «أحبك كريغ».

لكن صوتها تلاشى مرتجفاً وأصبح همساً.. تنهد كريغ الذي سحب يده من تحت يدها ليمسك كتفيها بحزم:

ـ لا أستطيع تركك تحبينني.. ألا تفهمين هذا؟ سيكون من الخطأ أن أقبل بهذا الحب. في الوقت الذي لا أستطيع فيه إعطاءك شيئاً في المقابل.. لا!

وضع يده على فمها ليسكتها:

ـ دعيني أنهي كلامي.. ليس عندي ما أعطيك إياه.. ولا أستطيع أن أقول إنني أحبك.. فحتى إن استطعت لن تصدقي.. ففي الغد، أو بعده قد تعود ذاكرتي فيصبح ما أقوله كذبة.. لا أعرف من أنا.. أو ماذا فعلت، وأنت أيضاً لا تعرفين.. فكيف تثقين بي.. هذا عدا أن تحبيني؟

ـ لكنني أثق بك!

أحست أن العالم يتهاوى حولها.. كان في قلبها الكثير من عدم الثقة والخوف.. ولكن في اللحظة التي أدركت فيها حبها انمحى كل شيء من عقلها. وها هو كريغ يحاول أن يعيد تلك المخاوف والشكوك إلى مكانها. ولكنها رغم كل شيء، عرفت أنها في أعماقها وثقت به.

أضافت: «أحب ما أنت عليه.. وما كنت أو ما فعلت لا يهمني أبداً».

ـ آه كورين، يا طفلتي العزيزة.. ألا ترين أن هذا هو المهم.

ـ كريغ.. لا تنادني هكذا!

ـ لا أدعوك ماذا؟ طفلتي العزيزة؟ كورين أنت في نواح كثيرة طفلة.. أتظنين أن ما تكنينه لي من مشاعر واهمة تجعل كل شيء صحيحاً. وتجعل ماضيَّ بريئاً ليس فيه ذنب. ولكن في القصص الخرافية فقط يتحول الضفدع إلى أمير، وينتظر قبلة حب حقيقية تعيده إلى ما كان عليه.. علينا من أجلنا نحن الاثنين أن نفكر في أن أشياء كهذه لا تحدث، فهذه هي الحياة الحقيقية حبيبتي.. ولن يتغير شيء أبداً.. لن أصبح أميراً فاتناً بكل تأكيد.

ألمت خفة كريغ أحاسيس كورين أكثر مما ألمتها كلماته الغاضبة يوماً.. لم يكن مرحه هذه المرة نوعاً من الدفاع عن النفس.. فليس في مشاعره ما قد يضطره للدفاع عن نفسه من أجله. أحست أنه يسخر منها وينتقص من قيمة الحب الذي أعلنت عنه ويعتبره حباً طفولياً غير ناضج. نهضت بيأس، والدموع تطرق لحاظ عينيها ولكنها رفضت أن تفتح لها الباب. أرادت أن تهرب منه لتختبىء بعيداً، لتلعق جراحها بمفردها.

قالت بصوت مرتفع متوتر:

ـ شكراً على صراحتك.. أنا آسفة إن أحرجتك بمشاعري

هكذا.. لن يتكرر الأمر.

راقبها بصمت وهي ترتد نحو الباب.. وأحست بعينيه تحرقان ظهرها.. ثم سمعته يلعن من بين أنفاسه فظنته يلعن غباءها لأنها كسرت القوقعة التي بنتها حول نفسها.. ولم تعد تستطيع حبس دموعها أكثر من ذلك.. أعمتها الدموع وهي تبتعد عنه.

ـ كورين!

في لحظة وصول النداء إليها وصلت يده إلى ذراعها تعيدها إلى مكانها وتجلسها قربه:

ـ كورين.. بالله عليك.. لا تذهبي وأنت على هذه الحال.

شدها إليه، فوصل دفئه إليها. كان الشوق لتريح رأسها على كتفه وللبكاء قوياً.

قالت منتحبة: «يجب أن أذهب.. لقد أغضبتك، فبقائي سيزيد الأمور سوءاً».

ـ كورين، أيتها الطفلة المجنونة.. كيف لي أن أغضب منك؟ يا حلوتي، أنت متجمدة من البرد.. تعالي إلى هنا.

حاولت الاحتجاج:

ـ كريغ.. لا!

لكنه شدها ودثرها بالغطاء.. ولم تعرف كورين أتشعر بالراحة أو بالإحباط.

تمتم بهدوء وهو يلف ذراعه حولها:

ـ هكذا أفضل.. لا تقلقي يا حبيبتي ستشعرين بالدفء.

لم تستطع كورين منع قشعريرة الاستجابة التي هزتها وهي تحس بذراعه القوية تضمها إليه.. ما كان يجب أن تترك هذا يحدث.. كان عليها أن تقاومه. لكن جسدها رفض أن يطيعها، ولم تستطع الحراك.. بدأ الدفء يتسلل إليها فملأ نفسها برضى

جعلها تسترخي.

كرر كريغ: «هذا أفضل بكثير.. القانون رقم واحد: لا تحاول إغواء امرأة في غرفة باردة.. فالبرد قاتل حقيقي للمشاعر»

همست: «أهذا ما تفكر فيه؟ أكنت تخطط لإغوائي؟»

اشتدت قبضته عليها:

ـ الآن لا أستطيع التفكير إلا في هذا.. لذا لا تثيريني.

تمتمت: «وماذا لو أثرتك..؟»

ـ ستكونين أنت المسؤولة عن العواقب.

ـ يبدو لي هذا منصفاً.

كانت مشاعرها تقودها، ضمت نفسها إليه.. في البدء لم يتحرك كريغ ليمنعها.. لكنه بعد قليل تحرك بسرعة وأطبقت يده على معصمها.

ـ لا تفعلي هذا.. تصرفي بحكمة!

ـ لكنك قلت..

ـ أعرف ما قلته، إنما لا يفترض بك أن تتصرفي هكذا، كورين، هناك ما يجب أن أخبرك به.

جعلها التغيير المفاجىء خائفة من ملاقاة عينيه.. لكن يده امتدت إلى ذقنها لترفع وجهها إليه.

ـ هل عرفت يوماً رجل فعلياً، كورين؟ أم تراك ما زلت طاهرة بريئة؟ أريد الحقيقة.

ابتعدت عيناها عن عينيه، ونظرت إلى يديها تحركهما بقلق.. استطاعت أن تعرف ما هي ردة فعله حين تعترف له.

ـ أنا..

قاطعها بحزم: «تأخرت كورين.. عرفت الرد ما إن ترددت. ما زلت عذراء.. أليس كذلك؟»

ـ وما الفرق؟

ـ الفرق كله. إن كنت لا تعرفين الفرق، فأنت أكثر سذاجة مما ظننت.. اذهبي إلى النوم كورين.

ـ النوم! لكن، كريغ..

ـ لن أستغلك! فلدي ما يكفي من مبادىء.. مع أنني عندما أكون معك أوشك أن أنساها. ليس لدي ما أعطيه. كل ما لدي هو اسم وحفنة من أنصاف الذكريات. وهذا غير كاف.

أرادت أن تصرخ: ولكنه يكفيني! أنت كل ما أريد! ولكن كريغ ارتدّ يواجهها ومانت الكلمات على شفتيها..

قال ببطء: هذا الذي تسمينه حباً.. في داخلي شيء ما قوي أشعر به تجاهك. إنما ليس ذاك حباً.. أنا لست واثقاً من وجود مثل هذا.. أنا لا أؤمن بوجوده.. ما نحس به هو شكل من أشكال الجنون.. نتيجة سجننا القصري. في مثل هذه الظروف قد يرتكب الناس أشياء مجنونة. إن المخطوفين يقعون في حب خاطفيهم. والخاطفون في حب ضحاياهم.. إنما هذا غير حقيقي.. ولا يدوم.

توقف قليلاً ثم أضاف:

ـ حاولت منع حدوث هذا كله. حاولت إبقاء مسافة بيننا، لأنني عرفت أن شفقتك عليّ ستجرّ عليك وبالاً ولكنني لم أنجح، وأنا آسف.. إنما لن أحمّل ضميري.

ـ إذن ماذا أفعل هنا معك؟

ـ قلت لك إن الناس يفعلون أشياء مجنونة في ظروف كهذه.. لست واثقاً لماذا أنت هنا.. ربما لأنك كنت ضائعة وخائفة وأردت مواساتك كما حدث عندما دخلت إلى غرفتي لتواسيني. لا تسأليني أكثر من هذا، كورين.

لماذا لم يؤلمها كلامه؟ عرفت الجواب. ما تحس به الآن هو الحذر الرحيم الذي يأتي مع الصدمة الأولى التي يسببها جرح لا يطاق. كل ما يشعر به كريغ تجاهها هو الشفقة، الشفقة على بلاهتها، فتاة ساذجة تركت مشاعرها تتحكم بها. إن اعترافها بالحب هو الذي جلب إليها هذا الإذلال المرير.

- الأفضل أن أذهب الآن.

اشتدت ذراعاه حولها وهمس:

- ابقي هادئة، لم يبق سوى بضع ساعات.. لا التزام، لا قيود، فقط، شخصان وحيدان في الظلام.

عرفت أنها ضعيفة بحيث لن تستطيع غير الإذعان. سيأتي الصباح بسرعة وعندئذ قد يفترقان إلى الأبد.

رقدت مستيقظة فترة تصغي إلى وقع المطر في الخارج الذي بدأ ينهمر مرة أخرى بقوة ولم يتكلم كريغ مرة أخرى، ولكنها حتى في نومها عرفت أنه ما يزال مستيقظاً. وأحست أن أفكاره كانت تمنع النوم عنه.

لا بد أنه غفا أخيراً لأن الكابوس عاد إليه. أيقظ تحركه القلق في سكون الفجر كورين من نومها. سمعته يناوء بصوت مرتفع وينادي باسم جودي مراراً ومراراً، ساعتئذ تذكرت رنة صوته وهو يقول لشخصان وحيدان في الظلام» عندما سمعت صيحة الخسارة التي شملت اسم امرأة أخرى، تلاشى حذرها الذي كان يحميها وجعلها تشعر بالألم الحقيقي مرة أخرى.

* * *

١٠ ـ رجل مات قلبه

لم يكن أول ما صدم كورين لدى استيقاظها الصمت أو وقع المطر. رفرفت عينيها بإبهام، مشوشة الفكر لأنها ليست في غرفتها.. ثم، وهي تتمطى بكسل لامست يدها الفراغ إلى جانبها، فهبت جالسة بحدة، تتذكر.. دل أثر طفيف على وسادته أنه كان هنا.. قفز قلب كورين عندما فكرت في أن المطر قد أذاب الثلج وجعل كريغ يرحل.. وخرج من حياتها.

خفت مخاوفها قليلاً وهي تنزل متعثرة على الدرج، لتجد كريغ في الردهة، ثم عادت إلى وعيها بحدة وهي تراه يزرر معطفه.

- إلى أين أنت ذاهب؟

رد باختصار، وكأنما يحذرها أن تسأل إلى أين:

- إلى الخارج.

- لكنك لا تستطيع الخروج في هذه الظروف! إنها خطرة جداً!

- سأرى إلى أين أستطيع الوصول.. فإن وجدت الطريق سيئة أرجع.

زفرت أنفاسها بتنهيدة عميقة:

- ستعود إذن؟

ـ أجل.. سأعود.. يجب أن أعود.. لا مكان آخر لي لأذهب إليه.

كانت الساعات القليلة التالية أطول ساعات عاشتها كورين. كان كل ما تقوم به يستغرق من الوقت أضعاف ما يحتاجه عادة. مع ذلك كانت تجد كلما نظرت إلى الساعة أن بضع دقائق مرت فقط. أما أفكارها فما كانت تفارق كريغ وهذا ما دفعها لقضاء أوقات طويلة أمام النافذة، على أمل أن ترى طيفه الطويل، وهو يعود إلى الكوخ.

ليتها تعرف إلى أين ذهب.. ترى أيريد العودة؟ ما زالت الطرقات خطيرة إنما ليس على كريغ.. ربما وعدها بالرجوع ليمنعها فقط من المزيد من الاحتجاج.. حينما انفتح الباب الأمامي أخيراً، جعلها الصوت تهرع إلى الردهة خافقة القلب.

كان المطر قد عاد مجدداً، بعنف شديد هذه المرة. كان شعر كريغ ملتصقاً برأسه، سترته والجينز غارقان بالمياه. ولم يكن لديها الوقت الكافي لتسجيل الظلال القاتمة على وجهه التي كشفت عن الجهد الذي بذله خلال هذه الرحلة. ولكنه لم يلتفت إليها إلا بعدما وضع الغلاية على الطباخ وأشعل النار تحتها. توقفت عيناه على فستانها الصوفي.

قال بهدوء: «إنها المرة الأولى التي أراك فيها مرتدية فستاناً.. إنه تحسين لا ريب فيه في مظهرك. أتريدين القهوة؟»

لم تستطع كورين إلا أن تهز رأسها برفض صامت. فعلى وجهه شيء ما، شيء لم تتمكن من تحديده، شيء مراوغ أرسل برودة إلى نفسها حرمتها من الكلام. لقد شاهدت فيه أمزجة كثيرة ولكن مزاجه هذا مختلف.. لم تدر لماذا تشعر بأن كريغ عاد مرة أخرى ذلك الغريب الذي ظهر في مطبخها منذ ثلاثة أيام.

انتزع كريغ معطفه ورماه على الطاولة، فلاحظت انتفاخاً في جيوبه.. سألته بجفاء وهي تشير إلى المعطف:

ـ ما هذا؟

ارتفع حاجباه، فأحست أن الابتسامة التي لامست شفتيه تصل إلى عينيه.

ـ أنت دقيقة الملاحظة.. وفضولية.. إنما تذكري ماذا يفعل الفضول بالقطة كورين.

أجفلتها لهجته.. إن الكلام مع كريغ كالسير على حقل ألغام واسع..

قالت بحدة: «إن كنت لا تريد أن تخبرني، فقل هذا فقط!»

لكن كريغ كان قد جذب المعطف إليه بشدة، وأفرغ ما في جيوبه:

ـ سكائر.

ومى علبتين غير مفتوحتين إلى الطاولة.

استقرت عيناها على صندوقي السجائر. لقد وصل إلى القرية إذن.. كادت بسبب انشغالها بأفكارها لا تسمع تعليقه التالي:

ـ ودفتر شيكات باسم كريغوري ريسكر ورخصة قيادة، ودفتر مذكرات صغير، وعنوان في لندن.. آه.. ومحفظة، محفظة عامرة بالنقود.. لذا أستطيع الآن أن أسدد لك ثمن الطعام الذي أكلته.. هذا أقل ما أستطيع فعله. لن أستطيع رد جميلك كله.. ولكنني لن أتركك مفلسة.

ـ لا داعي إلى هذا.. هل أنت ذاهب؟

ـ قريباً.. ربما غداً. لم أستطع تحريك السيارة اليوم.

فهمت ببطء ما يقوله فعادت عيناها إلى الأغراض الموضوعة على الطاولة.. قال لندن، عنوان هناك. في مكان ما هناك حياة

أخرى له، خارج جدران كوخ «موراند» الأربعة.. يجب أن تكون سعيدة من أجله ولكنها بدل ذلك تشعر بأن قلبها ينشطر نصفين. فهذا ما كانت تخشاه، أن يسرع كريغ في الذهاب حالما يجد ما يدله على حياته الماضية، إلى العالم الذي ينتمي إليه فعلاً، وبعيداً عنها.

ـ أنت..

ـ وجدت السيارة.

وكأنما في حلم، مدت يدها تلمس دفتر الشيكات، تمرر أصابعها فوقه وكأن هذه الملامسة الخفيفة قد تمتص شيئاً عن كريغ، وتعرف شيئاً عنه.. لندن! لماذا لندن؟ لم تستطع تخيل كريغ يعيش يوماً بعد يوم في مدينة كبيرة.. ولكنه لم يكتسب هذا اللون الأسمر في شتاء انكلترا.

ـ أين كانت؟

ـ خارج الطريق بقليل، على بعد ميلين من هنا. ظننتها ستكون أبعد، ولكنني وجدت الشجرة، فتذكرت. يبدو أنني تجولت في حلقات مفرغة بعد وقوعي.. ولأريح بالك أقول لم يكن هناك أثر لأحد غيري.

نظرت إليه وهي تشعر بالذنب بسبب الشكوك التي راودتها في الأيام الماضية وظنها بأن هناك مصاباً سواه ولكنها نسيت ذلك أما كريغ فلم ينسَ.

ما إن انتهى من إعداد القهوة حتى ارتمت على كرسي وأشعل سيكارة قبل أن يلتقط رخصة القيادة التي راح يدرسها بإمعان.. ثم قال أخيراً:

ـ إن ذهبت إلى هذا العنوان، فسأجد من يعرفني.. ما رأيك؟ في صوته رنة غريبة، جعلتها تدير عينيها إليه.. ها هو

مجدداً.. ذلك التعبير المراوغ الذي يلامس كل عصب فيها:

ـ أنت على حق.

صعب أن تتكلم بشكل طبيعي، لأنها تعرف بأنها تحاول عدم التفكير في هوية ذلك الشخص الذي قد يعرفه.. ماذا سيجد في ذلك المنزل أو الشقة في لندن؟ هل هناك فعلاً زوجة وولد؟ لقد أنكر كريغ أنه متزوج ولكنه كان في ذلك الوقت مرتبكاً ومشوش التفكير، ولم تكن تعرف ما تصدق.

ـ إلا إذا كنت تعيش بمفردك.

وكان أملاً أحمق، ولكن يجب أن تقوله.

ـ غير معقول، ألا تظنين ذلك؟ هناك حتى الآن مرشحتان لتكونا سيدتي ذلك المنزل، جودي الغامضة، والمرأة التي في الصورة.. إلا إذا كانتا الشخص نفسه.. مع ذلك، فواحدة منهما قد تتمكن من إخباري أي شيء عن نفسي.

ـ أنا واثقة من هذا!

أغدقت الغيرة المشتعلة في نفسها على كلامها حدة شديدة. لقد رفضت القهوة التي عرضها عليها كريغ ولكنها الآن تشعر بحاجتها البائسة إلى القليل منها، على أمل أن تريح حرارتها البرد الذي كان يمسك بقلبها.. تحركت لتعيد إشعال الطباخ متجنبة النظر إلى كريغ.

قالت: «هل أعد لك ما تأكله؟».

ـ لست جائعاً.

ـ لكنك كنت في الخارج مدة ساعات! ماذا فعلت طوال الوقت؟

ـ أفكر.

نظر إلى وجه كورين وكأنه يقوّم ردة فعلها. ثم أعاد اهتمامه

إلى رخصة القيادة في يده، يضربها على الطاولة.. جعلها الطرق الرتيب على الطاولة تضطرب:

صاحت بغضب: «حسناً.. لا تخبرني بشيء!»

ـ لن أفعل.. لكن ما الذي يجعلك تظنين أن هناك ما أقوله لك؟

تفجر إحباطها فجأة:

ـ لا بد من وجود شيء! أتحاول القول إنك لم تجد شيئاً آخر.. فقط دفتر شيكات، ورخصة قيادة؟

ـ لم أجد شيئاً آخر. هذه فقط، كانت في صندوق لوحة القيادة.. وأنا آسف على خيبة أملك، ولكنني لم أجد جثة مقطعة هناك، أو حقيبة عامرة بالمال المسروق من مصرف أو بالمتفجرات.

سحق سيكارته بعنف في المنفضة ووقف.

ـ سأذهب لأغير ثيابي، هذه الثياب مبللة.

كان عليها أن تكون معتادة على مزاجه الأسود هذا. ولكنها بطريقة ما لم تستطع التحمل، خاصة وأن العالم الذي ينتمي إليه، والذي كان مجرد ظلال، أصبح الآن أقرب بكثير إليه. كان لذلك العالم بذاره في ذلك العنوان في لندن.. في لندن هناك من يعرفه.

أخذت تتطلع إلى المطر في الخارج، تراقب كيف يذوب الثلج بسرعة.. إن كل قطرة ماء تقرب اللحظة التي سيرحل فيها كريغ. أصبح تأثير المطر ثانية اثر ثانية أكثر تدميراً على قلبها، وكأن قطرات من الأسيد تتآكلها.

إذا كان الصباح طويلاً صعباً، فما تبقى من بعد الظهر كان أصعب بكثير.. لازم كريغ غرفته ساعة أو يزيد، وعندما نزل أخيراً، مرتدياً الكنزة الكحلية والجينز اللذين كان يرتديهما يوم

وصوله بدا بعيداً عنها وكأنه خطا فعلاً الخطوة الأولى على طريق الحياة التي ينتمي إليها.

راحت الساعة على الرف تتكتك بصوت مرتفع وكأنها تعد الثواني المتبقية حتى يرحل كريغ ولم تحتمل كورين التفكير في شيء بعد ذلك الوقت.. ولم تستطع أن تتصور كيف ستعيش بعد رحيله. فهي على عكسه، لا حياة أخرى لها تعود إليها.. وبدون كريغ تشك في أن يكون لها حياة.

حذرها كريغ بألا تثق بأية مشاعر قد تتطور في بيئة محصورة. فقد كانت العلاقة التي نمت بينهما سببها الظروف التي أجبرا عليها.. لكن مكيناً حادة كانت تلتوي في أعماق قلبها لمجرد تفكيرها بأن مشاعرها ذهبت بعيداً فهي أبعد ما يكون عن المشاعر الزائفة التي حذرها منها.

قال بخفة:

ـ ابتهجي حبيبتي.. لن تعلقي هنا كثيراً.. أصغي إلى هذا المطر.. غداً ستكونين حرة، وسيصبح هذا كله حلماً سيئاً.

كادت كورين تقهقه عالياً بسبب السخرية في كلماته.. هذا حلم فعلاً، لكنه ليس سيئاً.. إنه حلم ملؤه السعادة التي لم يسبق أن شعرت بمثلها. غداً، وبعد رحيل كريغ، سيبدأ الكابوس. أمامها بضع ساعات، لتراه، ولتحبه، قبل أن يخرج من حياتها إلى الأبد.. لا يمكنها أن تترك هذا الوقت الثمين يمر بمثل هذا الصمت المتوتر المعدوم منه التواصل.

سألت: «هل أنت ذاهب غداً فعلاً؟»

ـ هكذا كانت خططي.

ـ أواثق أن المطر سيمحو الثلج؟

نظر إلى النافذة متظاهراً بالاهتمام به، ثم تمتم:

ـ يبدو أن لا شك في هذا. أظن أن بإمكانك الافتراض أن هذه هي آخر ليلة أقضيها هنا.

قالت مذهولة من عنف كلماتها:

ـ إذن، يجب أن نفعل شيئاً مميزاً!

ـ وماذا يدور في رأسك بالضبط؟

ـ حسناً.. لسنا بحاجة إلى الاقتصاد بالنسبة للطعام بعد الآن.. لذا بإمكاننا طهو وجبة مميزة.. والاحتفال بعشاء ممتاز.

ـ أتريدين الاحتفال أم الغرق في الأسى؟

نظرت إليه بدون أن يرف لها جفن.. أرادت أن تجعل من هذه الليلة الأخيرة ليلة لا تنسى لذا لن تتركه يفسدها.. تمكنت من الابتسام:

ـ لا هذا ولا ذاك، سنستمتع بالعشاء ثم نمرح.. فليس هناك حصار أو قيود.

ـ أبداً؟

كادت لهجته الساخرة تدمر عزم كورين، ولكنها تماسكت مقررة أن من الأسلم التظاهر بأنها لم تسمع.

ـ لذا، أخرج نفسك من المزاج الأسود الذي كنت فيه طوال بعد الظهر.. وكن مفيداً! أنا واثقة أنك قادر على طهو قطعتي ستيك إن حاولت.. أما أنا فسأهتم بالحلوى.. فأنا أعرف أن لا حلوى تضاهي حلوى التفاح التي أصنعها.

استجاب كريغ لها بشكل مذهل.. كانت ضحكته دافئة.. لا تشبه تلك الضحكة العديمة الرحمة التي باتت تخشاها كورين.

ـ تبدو فكرة لا تقاوم.. أنت امرأة متعددة المواهب.

ـ أعرف أن حلوى التفاح وصينية البخنة ليستا ما اعتدت عليه في لندن..

ـ وكيف تعرفين ما أنا معتاد عليه؟

آه! الأمر ميؤوس منه! استرخى كريغ للحظات، ثم سرعان ما عاد إلى حاله الأولى.

ـ افترضت فقط.. أن رجلاً مثلك..

ـ لا تفترضي شيئاً كورين! بالله عليك لا تقولي «رجل مثلك»! وكيف تعتقدين أن رجلاً مثلي قد يكون؟

تقوقعت كورين بعيداً عن عينيه الباردتين، وهمست: «أنا آسفة».

سمعت سبابه المكتوم.. وما هي إلا لحظة حتى أصبح قربها ولكنه لم يلمسها علماً أنه رفع يده لبرهة قبل أن يعود فينزلها.

قال بهدوء: «لا.. أنا الأسف.. أنا في غاية التوتر. بقيت أياماً بلا ماضٍ مسجوناً بين جدران فارغة، أما الآن..»

صمت فجأة، وعندما عاود الكلام، كانت واثقة أنه لم يكن يتابع أفكاره السابقة.

ـ وها أنا الآن أصبّ جام غضبي عليك.. أنا سيء انطباع على الأرجح لأنني جائع جداً.. ولا تجرؤي على القول «قلت لك هذا!»

ابتسم فجأة، فأعاد إليها الثقة بنفسها.

قالت بعذوبة وقلبها أخف مما كان عليه منذ أيام.

ـ لن أحلم أن أقول لك هذا.

كانت السعادة تطفح في أرجاء كيانها بسبب ابتسامته التي بعثتها حية وبطريقة لطيفة جديدة.

سمعته يقول بلهجة أخبرتها أنه يشاركها المزاج نفسه.

ـ أعتقد أنني سمعتك تقولين شيئاً عن حلوى التفاح.

ـ سنجهز حلوى التفاح فوراً.. سيدي!

قادتها رغبة مجنونة في جعل هذه الوجبة شبيهة بالوجبة الأولى التي شاركاها إلى الإصرار على أن يتناولاها على ضوء الشمعة، وبعد ذلك الجلوس قرب وهج النار حيث لا شيء ينير الغرفة غير الموقد.

بدا النور القاتم مناسباً بشكل ما. جلست محتبية على وسادة فوق البساط.. كريغ، رجل غامض، رجل ظلام.. لقد جاء من الظلام.

بدا أن توترهما السابق نُسي في الصحبة الهانئة التي هبطت عليهما وهما يتشاركان آخر وجبة.

كانت الريح خارج ستائر النافذة السميكة تضرب الأشجار والمطر يمسح آخر أثر للثلج الذي جمعهما.. غداً ينقسم طريقاهما اللذان تقاطعا مدة قصيرة فيسلك كريغ طريقه بعيداً إلى حياة مجهولة، تاركاً كورين بمفردها. لكن الليلة مميزة لهما، لعالمهما الخاص.

تمتم كريغ باكتفاء: «لا أظن أنني قادر على الحركة».

واستند إلى ظهر كرسيه ينظر إلى كورين بعينين ناعستين نصف مغمضتين. أضاف: ما كان يجب أن أسمح لك بإقناعي بقطعة الحلوى الثانية لكنها كانت مغرية.

ابتسمت له: «ولم يكن الستيك سيئاً».

هز رأسه موافقاً:

ـ نحن نسعى دائماً من أجل إرضائك سيدتي.. هل من مزيد من القهوة؟

رفعت الإبريق لتصب له، لكنه أخذ يسحب يده قليلاً حتى اضطرت إلى النهوض من مكانها. عندما انتهت من ملء فنجانه، وجدت أنها جالسة قربه. عندما حاولت الابتعاد، التفت ذراعه

حول خصرها، يضمها إليه بخفة وبحزم.

همس وهو يحس بتوترها:

ـ استرخي.. أريد أن أضمك فقط.. أعدك.

لأن هذا ما كانت تريده أيضاً، ولأنه كل ما تحتاج إليه لجعل هذه الأمسية رائعة، تركت نفسها تسترخي بين ذراعيه.. رأسها على كتفه، تستمع إلى دقات قلبه.. تنهدت تنهيدة رضى ثم تناست كل ما يتعلق بالصباح القادم، قانعة بالعيش في اللحظة الراهنة.

ظلا صامتين فترة طويلة، قانعين بالهدوء والسكون، الجديد عليهما.. لا يريد أي منهما كسر هذا الصمت بكلمات تافهة. تحرك قليلاً وعيناه ما تزالان ثابتتين على النار ثم تكلم ببطء، وكأنما لنفسه:

ـ كنت في طفولتي أجلس قرب النار هكذا.

في البداية، بسبب دفء اللهيب وقوة ذراع كريغ حولها، لم تتعرّف كورين إلى أهمية كلماته.. ثم انتبهت إلى كلماته فاقشعر جسمها وارتج. خافت أن تتكلم لئلا تدمر تركيزه، انتظرت متوترة لترى ما إذا كان سيستمر.

نظر إلى عمق النار المتوهجة، كأنه يرى صورة ما يصف في لهيبها:

ـ كان أبي يروي لنا القصص.. كان مولعاً بسردها. خرافات، أساطير، قصص من التاريخ.. طالما رغبت في قصص المعارك، الخيالية أم الحقيقية. كنت أظن أن الحرب مغامرة كبيرة مثيرة، غنية بالأبطال والشجاعة والقيم.

ضحك فجأة.. بدد ذلك الصوت الأجش الساخر هدوء الجو فخافت كورين، واندست به.

ـ ما أغباني! ولكن الواقع بدد أوهامي بسرعة!

مال إلى الأمام يأخذ سيكارة وعلبة الثقاب التي استخدمتها كورين لإشعال الشمعة، فابتعدت عنه قليلاً. ثم سأل بحدة:

ـ ما الأمر كورين.. ماذا دهاك؟ هل من خطب؟

ـ لا أبداً، آه.. كريغ.. ألا تعرف ما قلت؟

ـ ما قلت؟

انقسم عود الثقاب الذي يحمله، وطار الجزء المشتعل نحو النار..

ـ لقد تحدثت عن طفولتك.. عن والدك.. كريغ.. لقد تذكرت شيئاً!

ارتد إلى الخلف في كرسيه ممرراً يده في شعره بحركة عنيفة.

ـ يا إلهي.. هذا صحيح!

ومضت عينا كورين ابتهاجاً:

ـ أليس هذا أمراً رائعاً؟ هل تتذكر المزيد؟ أتعرف من أنت حقاً؟

رد بخفة وبغير إثارة: «أجل أعرف».

ـ إذن أنت..

صمتت عندما التفت فرأت وجهه جيداً.

صاحت: «كريغ.. ما الأمر؟»

تنهد تنهيدة مثقلة بالألم والتعب:

ـ أعتقد أنه يجب أن تعرفي.

بدا وكأنه يبذل جهداً ليتكلم، وكأن كل طاقته جفت منه. رفع يداً وكأنه يريد ملامسة وجهها، لكنه أرجعها على الفور.. وأصبحت تعابير وجهه فجأة متباعدة.

ـ أعرف ماذا.. كريغ؟

ـ أنني لم أكن صادقاً معك.

منذ متى يعرف؟ متى بدأ يكذب عليها؟ من هو هذا الرجل الذي منحته قلبها؟ ارتدت عنه بطريقة لا واعية والألم والشك يغشيان عينيها بضباب أسود.

تأوه: «آه كورين.. لا تكوني هكذا! ليس الأمر كما تظنين.. لقد عرفت فقط هذا الصباح.. لكنني احتجت إلى الوقت لأتكيف.. ذلك الحلم الذي راودني فكك على ما يبدو الأشياء في رأسي.. عندما استيقظت كان رأسي مليئاً بالأفكار والذكريات التي كانت مفككة، مشوشة، لكنها كانت هنا موجودة وكنت واثقاً أنني أعرف مكان سيارتي ولهذا كان عليّ أن أخرج لأتحقق.. كنت خائفاً أن تتلاشى الذكرى مجدداً.. وجدت السيارة حيث ظننت أنها موجودة.. عندما استويت إلى مقعد القيادة انفتح باب في رأسي، وعاد كل شيء إلى مكانه. حسناً.. تقريباً كل شيء».

لم تدر كورين أتضحك أم تبكي.. كانت سعيدة من أجله ولكنها في الوقت ذاته ضائعة من تأثير عودة الذاكرة إليه عليها، إنها لا تفهم لماذا أخفى عنها الأمر.. لو حدث لها هذا لكان أول ما فعلته أن تخبر كريغ.

ولكن إن فعلت هذا فلأن كريغ هو الرجل الذي تحبه، فيما هي ليست سوى فتاة التقى بها صدفة.

قالت وهي تبذل جهداً ليبقى صوتها ثابتاً:

ـ أخبرني عن نفسك.

ـ كريغ ريسكر.. كريغوري جورج ريسكر. ولدت في التاسع من آب في اوكسفورد، عمري ثلاثة وثلاثين عاماً.. أنا مراسل أخبار تلفزيونية.. مؤخراً كنت مراسلاً إلى أفريقيا.

أخبرها عن حادثته باللهجة ذاتها، معيداً سرد الأحداث بلا

انفعال، وبصوت متزن. صدمتها نهجته لكنها الآن فهمت.. فهو كونه مراسلاً، مدرباً على أن يفعل هذا بالضبط.

ـ كنت أنتقل من حرب إلى حرب.. أنا مدرب على إعداد التقارير، لا على تقديم الأحكام. وأنا أعمل بعقلي لا بقلبي.. فإن تورط المرء عاطفياً، عانى عمله.

توارى الصوت الخالي من العاطفة، وحل مكانه مرارة رهيبة مزقت قلب كورين وكأن كل كلمة مخلب متوحش. لا عجب إذن أنه سماها البريئة! فكونه رجلاً أمضى حياته في بلاد مزقتها الحروب، وجد عيشتها الهادئة المريحة واقعاً شبيهاً بالخيال.

ـ هل هذا ما حدث؟ هل تورطت؟

أدار رأسه ببطء يواجهها وعيناه مظللتان كئيبتان.

قال، بسأم والوحشية في صوته:

ـ حتام يمكنك المراقبة وكتابة التقارير وتبقين من البشر؟ إن عشت بعقلك مات قلبك بالتدريج.

فجأة ابتسم بلطف، لكن التباين بين ابتسامته والكآبة في عينيه، لم تكن تُطاق.. لامس اصبع طويل خد كورين، ولمّا أبعده حمل معه دمعة علقت على طرفه، دمعة لم تع كورين وجودها.

ـ أرأيت.. أنت بريئة صغيرة.. ما زال بإمكانك البكاء. تتحدثين بثقة عن الحب، ولكن لو رأيت ما رأيته لما آمنت بالحب.

رمى سيكارته بعنف إلى قلب النار.. ثم ارتشف ما تبقى في كرب القهوة، وأخذ ينظر بكآبة إلى الكوب الفارغ الذي اشتدت أصابعه حوله حتى خشيت كورين أن ينحطم بين أصابعه.

ظنت أنها قد اعتادت على الرعب الذي تسببه ضحكته الخالية

من العاطفة.. ولكن ضحكته هذه المرة كانت غريبة جداً، فصاحت به:

ـ آه! لا تفعل هذا بنفسك.

لكنه لم يسمعها.

ـ الأمر مثير للسخرية، أليس كذلك؟ كان كل ما أردت أن أفعله في الأيام الماضية هو استعادة ذاكرتي، أما الآن فأتمنى لو بقيت فاقد الذاكرة.

مدت كورين يدها لتتناول الكوب لئلا يؤذي نفسه، ثم يحاول كريغ أن يقاومها، وتركها تمسك يده بيدها.. لم يكن لديها كلمات تواسيه بها، فهي تعرف أن كل ما قد تقوله سيكون غير كاف. كانت تريد منه أن يفتح لها قلبه وأن يسرّ إليها ما فيه، وها قد نالت ما أرادت، ولكنها لا تعرف إن كانت قادرة على التحمل. لكن لو لامسته أو احتضنته فقد يصل إليه شيء مما تشعر به.

سألته بعد صمت طويل: «هل هذا ما حلمت به؟»

ـ حلمت بالأطفال.. بمن لا مستقبل لهم.. في زائير كان هناك صبي.. طفل لا يزيد عمره عن الاثنتي عشرة سنة.. كان معه بندقية، أخذها من يد والده المقتول.. أخذ يتفاخر أمامي عن عدد من قتلهم.. كورين.. لدي ابن أخت في سن ذلك الولد!

شعرت كورين بالقشعريرة التي تولدها في جسد كريغ هذه الذكرى. ووخزت الدموع لحاظ عينيها لكنها أجبرتها على التراجع.. فالدموع الآن تعبير عن الضعف. وكريغ بحاجة إلى الدعم لذا لا يمكن أن تنهار.. وضعت ذراعيها حول كتفيه وضمته إليها، وقالت بلطف:

ـ إن أردت إخباري.. فأنا مصغية.

ولكنه هز رأسه بغضب تقريباً:

ـ لا يمكنني تحميلك عبء ما سأقول.

لن يعرف أبداً كم أرادت أن تصيح أن هذا غير صحيح، فهي تريد أن تشاركه كل جزء من حياته.. الجيد منها والسيء.. لكنها لا تستطيع أن تقول له هذا، لأن كريغ لا يشعر تجاهها بما تشعر به.. ليست الشخص الذي يمكنه الثقة به.. ومن أجله هو، تمنت وجود من يستطيع مشاركته كوابيسه.. جودي مثلاً.

ـ أتذكر المرأة في الصورة؟

هناك شيء آخر يجب ألا يعرفه كريغ.. يجب ألا يعرف كم كلفها التفكير في هذا السؤال الذي لا تحب أن تسمع له رداً.

كانت ابتسامة كريغ بطيئة متزعجة.

ـ خلتك لن تسألي.. اسمها لوسي، أما الطفل فاسمه كاسمي كريغوري، مع أنه معروف باسم كريغ الصغير ليفرقوه عن كريغ الكبير.. عمه.

لوسي! دار الاسم مراراً ومراراً في رأسها.. ولكنها صدمت لأنها توقعت أن يكون اسمها اسم المرأة التي كرر اسمها كريغ في منامه. وعت أن كريغ يراقبها.. بدا أنه ينتظر رداً ما.. لكن ماذا؟ ماذا قال؟ كريغ الصغير.. كريغ الكبير.. عندما ذكر علاقتهما أضاءت وجهها البسمة التي شعت من عينيها من غير رادع:

ـ عمه!

ـ أجل كورين، إنه ليس ابني، بل هو أصغر أبناء أخي الذي طالما ظننا الناس أنا وذايف توأماً، مع أنه أكبر مني بسنتين، لهذا السبب يشبهني كريغ الصغير.. لكنه ليس ابني.. إنه طفل رائع محبوب.. أحب أن أنجب مثله. أرسل ذايف لي الصورة عندما كنت في زائير.. كنت أحملها في كل مكان نوعاً من التعويذة ضد الرعب الذي كنت أشاهده.. ورمزاً للأمل وبرهاناً على وجود طفل

له مستقبل في مكان ما.. وهناك كنت في نهاية هذا الأسبوع، مع ذايف ولوسي، وكنت عائداً عندما بدأ هطول الثلج، وعلقت السيارة فيه. فقررت تركها والتفتيش عن مكان ألجأ إليه، وتركت محفظتي وأغراضي في السيارة.. ثم انزلقت في مكان ما ووقعت.. أما الباقي فتعرفينه كله.

همس لها عقلها: تقريباً كله! فأنت لم تخبريني بكل شيء.

ـ وماذا ترغبين في معرفته أيضاً؟

أجفل سؤاله كورين وصدمها. لم تدرك أنها تكلمت بصوت مرتفع.

ـ تريدين معرفة من هي جودي.. أليس كذلك؟ تريدين معرفة من هي.. كنت سأقول لك إن استطعت.. لكن..

فتح يديه دليل الاستسلام:

ـ إنها الجزء الضائع من عقلي الباطن.

ـ أنت لا.. لا تستطيع..

أحست بلسانها ينثقل في فمها، وتلعثمت بكلماتها، لا تقدر على إخراجها.. فذكرها بلطف:

ـ قلت إنني تذكرت تقريباً كل شيء.. أما جودي فلا أستطيع أن أتذكر ما يتعلق بها بل لا أريد أن أتذكر.

صمتت كورين فقد تذكرت ما قاله منذ يومين بأن فقدان الذاكرة غالباً ما يكون نتيجة صدمة عاطفية.. صدمة لا يستطيع من يعاني منها تذكرها.. بالنسبة لكريغ، جودي هي تلك الصدمة.

ـ كورين!

كان في صوته رنة مترددة، تروي قصة أحلام ووعود، وغد مشترك:

ـ أعرف أنني وعدتك.. لكنني لا أستطيع الحفاظ على هذا

الوعد أكثر من هذا.

لم تكن كورين بحاجة إلى السؤال عما يعني فقد رفعت وجهها إليه بدون أن تتفوه. كانت ترتجف وهو يلمس وجهها بيده.. ثم زاد ارتجافها وهو يحيطها بذراعيه. كان العناق بداية دافئة برافقها ضغط خفيف ينم عن حب عميق. قال لها: «لا أريد منك غير احتضانك هكذا لأشعر بك. لا تخافي!».

استرخت بين ذراعيه هانئة سعيدة لأنه قربها.

* * *

١١ ـ اخرج من قلبي!

كانت كورين تدندن لنفسها وهي تعمل على آلة الحياكة، مفعمة النفس بالرضى والقناعة ولم يستطع حتى المطر المنهمر بغزارة في الخارج أن يؤثر فيها. أصبحت الطرقات سالكة، وقد ذهب كريغ ليجلب سيارته.

في وقت ما من الليل.. عندما أكملت آخر جمرات الفحم احتراقها في الموقد، حملها كريغ إلى غرفتها حيث وضعها في السرير. وعت أنه لثم جبينها ثم رفع الأغطية ليدثرها. قبل أن يغلفها اللاوعي، ظنت أنها سمعت كريغ يتمتم شيئاً فهمت منه أنه يعترف بوجود شيء اسمه الحب.. لكن غفلة النوم غلبتها قبل أن تستطيع الرد وعندما استيقظت لم تكن متأكدة إن كان ما سمعته حقيقة أم حلماً.

كان العيب الوحيد الصغير في سعادتها هو عدم إظهار كريغ دليلاً على أي تغيير في خطته إذ وضب حقيبته ووضعها في أسفل الدرج. ولكن، حتى هذا، فشل في تكدير هدوئها. فقبل أن يخرج ضمها إليه، وعانقها بشوق كبير. قائلاً بوعد هامس:

ـ سنتحدث عن كل شيء عندما أعود.. لذا من الأفضل أن تفكري بشكل جاد أثناء وجودي في الخارج.

لكنها عرفت أنها تجاوزت مرحلة التفكير.. فحبها لكريغ من

النوع الذي يدوم العمر كله، وهذه المعرفة منحتها الثقة بالنفس، لتنتظر عودته.

في وقت أقرب غير متوقع سمعت صوت سيارته تخترق الثلج الذائب، ثم تتوقف في الخارج.. خفق قلبها، فهرعت إلى الباب تفتحه ولكنها وقفت هناك تحدق بارتياك إلى الرجل الذي وقف أمامها.

- مرحباً! هل سمعتني وأنا قادم؟ طلب إليّ والدك أن أزورك لأتأكد من سلامتك.

إنها تعرف وجهه، وجه دافيء وعينان بنيتان ودودتان.. لكنها كانت تتوقع وصول كريغ.. لذا لم يبدُ لها هذا الرجل حقيقياً هنا. ثم اتجهت عيناها إلى سيارته العتيقة المتوقفة أمام الكوخ، وقفز عقلها إلى العمل ثانية.

- هانك.. أنا آسفة.. لم أتوقع وصولك! أدخل فوراً.. ابتعد عن المطر!

لحق بها هانك إلى الداخل، ضارباً قدميه في الأرض لينظفهما من الوحل والثلج العالقين بحذائه.

- قمت ببضع زيارات منزلية في «فورلي» وفكرت أن أمر لأتفقد أحوالك.. حملت إليك صحيفة لتتابعي آخر أخبار العالم.

- شكراً.

كانت كورين تحاول اختبار مشاعرها.. تترقب ردة فعلها أمام هانك، ولكنها وجدت أن لا أثر للألم في نفسها أو للندم.. لقد شفاها كريغ من كل هذا.

رمت الصحيفة بلا اكتراث على طاولة الردهة.. ثم تأبطت ذراع هانك وشدته إلى غرفة الجلوس.

- تعال نتدفأ.. وأخبرني عن الحياة الزوجية.. كيف حال

جاكي؟

أصغت إلى رده بنصف اهتمام لأن النصف الثاني كان يترقب وصول كريغ. أخيراً كوفئت على صبرها، وسمعت صوت إطارات فوق الثلج.. ثم صفق باب سيارة.. فارتدت إلى الوراء في جلستها وعلى وجهها ابتسامة دافئة.

كان هانك يقول لها:

- تبدين مختلفة كورين. هناك إشعاع جديد على وجهك.. لاحظته لحظة رأيتك.

- أنا مختلفة الآن!

آه! لماذا لا يدخل كريغ؟ لا شك أنه شاهد سيارة هانك.. فهل جعله هذا يتردد؟

صفق الباب الأمامي بدفع الريح، ولم تعد كورين تستطيع تحمل الانتظار.. فهبت واقفة متوجهة إلى الباب.

- أنا سعيدة جداً هانك.. لقد قابلت رجلاً رائعاً و..

تلاشى صوتها وهي تقف بالباب تنظر إلى الردهة الفارغة.. أوقعت الريح الصحيفة التي جلبها هانك أرضاً ولكنها رأت بين طياتها المبعثرة ورقة بيضاء.. سمعت صوت هدير محرك سيارة في الخارج، ثم صوت إطاراتها تسير بسرعة جنونية.

- لا!

صرخت صرخة ألم ثم فتحت الباب الأمامي وهرعت إلى الخارج. ما تزال سيارة هانك الصغيرة في الخارج وإلى جانبها آثار إطارات سيارة أخرى أكبر منها تظهر جلياً في الوحل.. وقفت مذهولة تشعر بعذاب هائل يدمرها.

- من كان هذا؟

أعادها صوت هانك إلى واقعها.. فارتدت على عقبيها عائدة

إلى المنزل، تدفع بنوع ما من الابتسامات إلى وجهها لتهدىء من توترها البارز.

قالت: «إنه شخص أردت أن تلتقيه».

وكان من الغرابة أن تجد صوتها هادئاً تقريباً.

نظر هانك إلى ساعته عابساً قليلاً:

- في وقت آخر، ربما يجب أن أذهب الآن يا حبيبتي. لكن قبل أن أذهب عليّ أن أقول لك إن جاكي أصرت عليّ حتى تحصلي على رقم هاتفنا.. وهي تحب أن تزورينا للعشاء يوماً ما.. ربما عندما تزورين أباك في الميلاد.

أمسك قلماً في يده ثم راح يبحث في جيوبه عن ورقة ليدون عليها الرقم ثم لمح قطعة الورق على الأرض فتناولها.

- هذه كافية.

دون الرقم عليها، ثم ثبتها في لوحة خاصة للمذكرات قرب الباب، قائلاً:

- سألتقي بهذا الرجل المميز في وقت آخر.. أنا أتطلع شوقاً إلى هذا اللقاء.

ثم رفع ياقة معطفه، وخرج تحت المطر.. مضى وقت طويل قبل أن تستجمع كورين نفسها لتغلق الباب خلفه.

ومع أنها عرفت أن الأمر ميؤوس منه، إلا أنها تفحصت كل الغرف بحثاً عن أي دليل ينفي ما حدث، أو على الأقل عن شيء تركه كريغ خلفه يظهر لها عزمه على العودة.. لكن غرفته كانت فارغة.

شهقت كورين متأوهة بصوت مرتفع، تلف ذراعيها حول جسدها وكأنما تجمع نفسها.. لا شك أنه خطط لهذا سلفاً!

جرّت نفسها بألم إلى الطابق السفلي، لم يكن في عينيها

دموع.. فعلى المرء حتى يبكي أن يكون قادراً على الإحساس.. وقلب كورين الآن ميت وممزق إرباً إرباً.

ما زالت الصحيفة التي جلبها هانك ملقاة على الأرض.. التقطتها متعبة ونظرت بشكل آلي إلى العناوين. «المزيد من القتال في زائير... تجدد المخاوف على سلامة الرهائن... انفجار سيارة مفخخة في بلفاست..»

«السلام على الأرض.. والرجاء الصالح بين بني البشر».

رن صوت كريغ بكل وضوح في ذهن كورين للحظات، حتى كادت تؤمن أنه يقف قربها.. رمت الصحيفة بعنف بعيداً، وجلست في أسفل الدرج، محدودبة الظهر وكأن أثقال العالم كلها وضعت على كاهلها.

* * *

هبت ريح باردة في وجه كورين التي نزلت من الباص في القرية وبدأت المسير بمفردها باتجاه «مورإند».. كان هناك القليل من دلائل الحياة في الشارع الضيق الرئيسي في القرية، وقطة شاردة تجلس على غطاء محرك سيارة أنيقة قوية كانت متوقفة خارج فندق «فورلي» الوحيد، وهي الكائن الحي الوحيد الذي تجرأ على الخروج بعد ظهر هذا اليوم المكفهر.

تنهدت كورين تنهيدة عميقة.. كان عليها الشعور بالسعادة والاكتفاء، فالرحلة إلى «برادوود» نجحت.. ومعها الآن ملف زاخر بالطلبات للمزيد من تصاميمها.. إنما لم يفرح هذا مزاجها البائس. إنها تشعر بالتعب واليأس بعد ركوب الباص مدة طويلة لم تفعل خلالها شيئاً غير التحديق بكآبة إلى خارج النافذة متجاهلة الصحيفة التي اشترتها، بدافع غير عادي، ربما لأنها لا تحمل العناوين التي تخيفها.. عندما تركها كريغ، ظنت أنها لن ترى

وجهه مجدداً، لكن منذ عدة أيام بدا لها من المستحيل أن تمر بدكان يبيع الصحف بدون أن تنهمر عليها صور الرجل الذي يقض مضجعها.

ولأن قصة الرهائن كانت في مقدمة الأخبار هذه الأيام، فقد كثر الحديث عن مفاوضات لإطلاق الرهائن البريطانيين وهم طبيب وزوجته وابنتهما، المحتجزون في زائير منذ حوالي الشهرين. سمعت كورين أباها وزوجته جوانا يتحدثان كثيراً عن الأمر ولكن بسبب انغماسها في تعاستها الخاصة لم تستوعب غير بضعة تفاصيل، لذا لم تكن مستعدة للحظة المدمرة التي علمت فيها من خلال هانك وجاكي خلال العشاء عندهما أنه كان هناك أصلاً أربعة رهائن.

قال هانك: «ولكنك تعرفين بلا شك! فحتى جاكي التي لا تهتم بمثل هذه الأمور تعرف أن كريغ ريسكر متورط بالعملية كلها».

تسمّرت كورين في كرسيها، مصدومة متسعة العينين.. ثم تمتمت:

- ريسكر؟ هل هذا هو الاسم الذي ذكرته؟

- أجل.. كريغ ريسكر، أحد أفضل المراسلين. ذهب ليقابل الطبيب بوتشر، وأصبح رهينة معه. ولكنه تمكن من الفرار، والله أعلم كيف عاد يروي القصة.. كانت عيشته قاسية لذا بدا سيء الحال. فهو ليس ممن يتحمل الأسر.

وخزت الذكريات كورين كسكاكين حامية حمراء، وشدت يديها في قبضتين مضمومتين، فيما تابع هانك:

- كان ريسكر في إجازة في انكلترا قبل الميلاد. سمعت أنه عاد إلى هناك مجدداً الآن.. يبدو أنه الوحيد الذي قبلت

الميليشيات التفاوض معه، لأنه نال احترامهم حين كان أسيراً عندهم. فالرجل شجاع والمخاطرة جزء من حياته.. مراسلو الحروب نوع خاص من البشر.

قالت كورين آلياً: «يعملون بعقولهم لا بقلوبهم».

إنها كلمات محفورة في عقلها الباطني وقد سمعتها ملايين المرات في تفكيرها، منذ ذكرها أمامها.

رد هانك: «وهم يتعرضون إلى خطر كبير ولكنهم معتادون عليه.. لذا لا يستطيعون الاستقرار في حياة عادية فيما بعد.. خذي ريسكر مثلاً.. يُقال إنه فاتن النساء وإن وراءه سلسلة قلوب محطمة.. إنه من النوع الذي يحب ثم يهجر.. هذه هي فلسفته في الحياة.. وهي الحياة التي تجعل المرء منهم صعب المراس كما أعتقد، هذا إن لم يكونوا هكذا أصلاً».

في اليوم التالي عادت كورين إلى كوخها الآمن، تحاول دفن نفسها في عملها، لكن الأمر انتهى بها بقضاء ساعات في التحديق إلى رسوماتها، جسدها في برد شتاء إنكليزي أما دماغها وأفكارها فعلى بعد مئات الأميال في حرارة الخطر في زائير، مع كريغ. تجنبت كل الصحف عامدة متعمدة، وكذلك تقارير الراديو، لأن مجرد ذكر اسمه يؤلمها.. ولم تفتح مرة التلفزيون النقال الذي أهداه إليها والدها في الميلاد، إلا ليلة رأس السنة..

تلك الليلة تخلت عن كل ادعاء بالعمل، وأقنعت نفسها بتغيير عاداتها فقررت مشاهدة فيلم المساء، ولم تفتح التلفزيون إلا بعدما شارف موعد عرض الفيلم.. لكن كورين لم تعلم أن الأحداث تتسارع.. في الصباح الباكر من ذلك اليوم أطلق سراح الرهائن، وتحدد وقت أخبار المساء خصيصاً لتغطية القصة. فكان أن برزت الصورة أمامها ووجدت نفسها تنظر إلى وجه كريغ.

تنقل قلب كورين بين ألم وفرح.. فمجرد رؤية كريغ بهجة ممتزجة بعذاب ولكنها لم تفهم كلمة من المقابلة، بل تركت عينيها تشبعان جوعهما من الرجل الذي أحبته، وكأنها شخص يتضور جوعاً وقدمت إليه فجأة مأدبة لذيذة.

إذن، هذا هو كريغ ريسكر.. لا ذلك الرجل المشوش الذي جاء إليها في عاصفة ثلجية أو ذلك الحبيب اللطيف الرقيق الذي تعلقت به إلى الأبد.. إنه الرجل القاسي القادر المسيطر على ظروفه..

حطمته تجاربه تقريباً.. كان عقله يرفض ذكرى ما اضطر إلى رؤيته ولم يستطع منعه أو تغييره.. لكن هذه الندوب التي خلفتها هذه التجارب لم تحتج إلى وقت طويل لتندمل. لقد عاد كريغ إلى العالم الذي يعرفه وعاد إلى الخطر. قال هانك عنه إن فلسفته في الحياة هي الحب والهجر.. لكن كورين تعرف أن لا وجود لكلمة الحب في قاموس كريغ.. فهو لم يحبها بل كانت مجرد امرأة من سلسلة طويلة تحطمت قلوبهن وتركهن وراءه، ملاحقاً الطموح والإثارة.

انتهت المقابلة، وكان كريغ على وشك أن يستدير مبتعداً عندما اقتربت الكاميرا من وجهه. في تلك اللحظة، دفع يده في شعره دلالة نفاد صبر وهي حركة تعرفها جيداً، عندما أبعد غرته عن شعره انحبست أنفاسها في حلقها وهي ترى الخيط الرفيع الأبيض حيث كان الجرح فوق عينه، وتساءلت بائسة عما إذا فكر فيها ولو للحظة. «الآن، نعود إلى المطار حيث وافق الدكتور بوتشر على عقد مؤتمر صحفي» قطع صوت المذيع أفكارها.. وما هي إلا ثانية واحدة حتى أقفلت الجهاز، ولكن في هذه الثانية سمعت الدكتور بوتشر يقول: «لا شك أن كريغ بطل.. وابنتي

جودي تعبده.. وأظنها تحبه بجنون».

إذن، ها هي الآن تعرف.. ولا حاجة للبحث عن أسباب رحيل كريغ السريع.. ولا حاجة للتساؤل عن هوية الفتاة التي كان يناديها في أحلامه.. لا تستغرب عجزه عن الإصغاء إلى الأخبار.. ففي عقله الباطني عرف بأن المرأة التي يحبها ما تزال أسيرة. انكشفت آخر قطعة من اللغز، والرد على كل الأسئلة الحائرة اجتمع في كلمتين «جودي بوتشر».

ازدادت السماء اكفهراراً وثقلاً وهي تسلك الطريق الترابية المفضية إلى «مورإند»، ارتجفت ودست يديها في جيبي معطفها.. في أمسية كهذه اقتحم كريغ منزلها عليها.. كم سيمر من وقت قبل أن تتمكن من الاقتراب إلى الكوخ بدون التفكير في اللحظة التي رأته فيه نائماً في الغرفة في الطابق العلوي؟ هل ستخبو الذكرى يوماً أم ستبقى تلاحقها حتى آخر العمر في كل أمسية من أمسيات الشتاء الباردة؟

وجدت أن رسل ما يزال هذه المرة حيث تركته.. ولكنها سرعان ما شهقت مصدومة عندما دست المفتاح في الباب فانفتح ببطء.. مع أنه كان مؤخراً يتعبها في فتحه وأصبح من الضروري أن تجد من يصلحه قبل أن يقتحمه متطفل حقيقي ولن تكون محظوظة هذه المرة كما كانت مع كريغ..

اتجهت رأساً إلى غرفة الجلوس.

كان الفحم يلتهب مرحباً، تنهدت مستلذة بدفئه.. ثم تسمَّرت رعباً عندما سمعت حركة خفيفة، استرعت انتباهها إلى طيف أسود طويل قرب النار.

ـ لقد تركت الباب مفتوحاً مرة أخرى.. ألن تتعلمي أبداً؟

ـ لا!

قفزت الكلمة من شفتيها وهي تلوّح بيدها لتزيل الطيف الوهمي.. لا شك أنه وهم! من غير المعقول أن يكون كريغ هنا.. سمعت صوت زر يتحرك، وطافت الغرفة فجأة بالنور.. لكن الطيف ما زال هناك.. أسمر، واثق من نفسه. ضخم، قوي، وحقيقي إلى درجة الخطر.

- مساء الخير كورين.. أظن أننا لعبنا هذا الدور قبل الآن.

انقلبت صدمتها إلى الغضب:

- هذا صحيح.. وفي تلك المرة ارتكبت الخطأ المهلك فلم أسرع إلى التخلص منك ولكنني اليوم لن أكون غبية كالمرة السابقة.

رفعت رأسها بشموخ ثم تقدمت إلى الباب وفتحته، تأمره بجفاء:

- اخرج من بيتي كريغ! لا أريدك هنا.. لذا أرجو منك أن تخرج.

هز رأسه وجلس في مقعد ذي مسندين، وأشعل سيكارة وكأنه شخص عازم على البقاء في مكانه قدر الإمكان.

- أحذرك، إن لم تخرج من هنا فـ..

- ماذا ستفعلين كورين؟ هل معك سكين في جيبك أم تخططين لشيء مختلف هذه المرة؟ لكن مهما كان الأمر أنصحك بأن تحسني استخدام هذا الشيء لأنك لم تكوني ناجحة في المرة الأخيرة على ما أذكر.

أيجب أن يذكرها بهذا؟ استندت إلى الباب مهزومة، وقد تبخر غضبها بسرعة كما جاء تاركاً إياها ضعيفة هشة خائفة.. فبدون درع الغضب الذي يحميها من مشاعرها هي معرضة لكافة أنواع الأخطار. ولو استطاعت دفعه إلى المغادرة وهي غاضبة

لتمكنت من الصمود على الأقل حتى يخرج.. ولكنها الآن، وبعد بضع دقائق فقط، تحطمت دفاعاتها، وأصبحت تحت رحمة حبها له.

قال لها بحدة: «لماذا لا تأتين وتجلسي؟ أنت تتصرفين كطفلة حردانة ولكنني لا أملك الصبر الكافي.. فأنا متعب. كنت في سفر أربع وعشرين ساعة.. وأقل ما تفعلينه هو أن تكوني كريمة الأخلاق قليلاً في ترحيبك بي».

- كريمة! ترحيب! أنت لم تفهم ما أعني كريغ.. أنت لست على الرحب والسعة هنا، لذا أخرج إلى سيارتك وارحل.

- ليست سيارتي هنا.. تركتها في القرية ثم سرت حتى وصلت.

فجأة تصورت كورين السيارة التي رأتها في القرية.. كان عليها أن تعرف! كان على حدسها أن يحذرها.. ابتلعت ريقها بقوة، محاولة استجماع بعض الغضب الذي تحتاج إليه.

- حسناً، بإمكانك العودة سيراً مرة أخرى! فأنت..

صاح بقاطعها بنفاد صبر:

- حباً بالله! تعالي واجلسي.. تبدين سخيفة وأنت واقفة هناك كالملاك المنتقم! اخلعي معطفك واجلسي لنتكلم بطريقة متمدنة.

- ليس «التمدن» الكلمة المناسبة التي قد أستخدمها في وضعك!

مع ذلك فقد فعلت ما قاله لها، فهي لم تحب أن تفكر بردة فعله إن رفضت إطاعته. سألت بعدما هدد الصمت بينهما بالامتداد:

- ماذا تفعل في بوركشاير على أي حال؟

أدار رأسه ببطء لينظر إليها:

- أفتش عن مكان أعيش فيه.

وكان هذا آخر ما توقعت سماعه.

- لكن، لماذا؟ أنت لا تقيم في البلاد تقريباً فلما تتحمل نفقات استئجار شقة أو شرائها في لندن؟.. هذا دون ذكر منزل هنا. عملك يأخذك إلى الخارج كثيراً.

- لم يعد كذلك. قررت أن الوقت قد حان للتغيير. إن قضاء عشرة أشهر في السنة خارج البلاد ينجح فقط عندما يكون المرء حراً غير مرتبط.. وهي ليست الحياة المناسبة لرجل متزوج.

تجمد الدم في عروق كورين. فجأة أحست بالامتنان لأنها جالسة، لأن ساقيها ما كانتا لتستطيعا حملها.

سألت بصوت متقطع ألماً: «وهل ستتزوج؟»

رد ساخراً: «أفكر في الأمر».

- من.. من هي الفتاة المحظوظة؟ جودي بوتشر؟

- يا إلهي.. لا! إنها فكرة جيدة.. إنما ليست العروس جودي.

- امرأة غيرها إذن؟

وضعت هزة رأس كريغ الصامتة كورين في نوع آخر من الألم والتفكير. هل كانت مخطئة في ظنها بأن جودي بوتشر هي المرأة التي يهتم بها كريغ حقاً؟ لقد مر شهر تقريباً منذ سمعت كريغ يلفظ اسمها، وبضعة أيام منذ سمعت الدكتور بوتشر يعلق للعالم أن ابنته مجنونة بحب كريغ.

وها هو الآن يتحدث بهدوء عن الزواج بامرأة أخرى بدون أثر للذنب أو الإحراج.. أليس لديه ضمير أبداً؟

قال كريغ مفكراً: «أبحث عن مكان «كمورإند».. لقد اكتفيت من لندن.. ولدي ذلك الطموح المجنون إلى الكتابة التي

قد تطرد بضعة أشباح من نفسي. أشعر أنني سأتمكن من الكتابة هنا، فما رأيك؟»

- لا أدري.. ولماذا تسألني؟

رد بعذوبة: «ومن أسأل إذن؟»

- اسأل الفتاة التي ستتزوجها. لا شك أن لها رأياً في الموضوع.

آه! من المؤلم أن تقول هذا!

رد بهدوء: «بالتأكيد. ولكنها على ما يبدو غير مستعدة لإعطاء ردها».

هزت رأسها بارتباك غاضب.. ها هو يتكلم بالألغاز.

- وهل أخبرتها أنك تريد أن تعيش في «مورإند»؟

رد بشكل غامض: «منذ أقل من دقيقة».

- كريغ.. لا تهزأ بي! فهذا مستحيل وأنت تعرف هذا! كيف قلت لها ذلك وأنت.. لأنك..

خذلها صوتها، واستوت مستقيمة مصدومة.. لا، هو لا يعني ما تفكر فيه! لا، أبداً!

قال وعيناه لا تفارقان وجهها:

- لأنني ماذا؟ تابعي كلامك كورين.. ستصلين إلى المغزى الذي أريد في النهاية.

- كنت تكلمني أنا.

خرجت الكلمات شهيقاً مؤلماً.. هذه قسوة كبيرة! لا يمكنه تعذيبها هكذا في الوقت الذي تعرف فيه أنه لا يعني كلمة مما يقول! طالما لجأ كريغ إلى هذه المراوغة عندما يتكلم عن شيء ذي معنى. نظرت إلى كريغ بحدة ورأت من تعابير وجهه أنه يقرأ أفكارها من عينيها.

مال إلى الخلف وقال متنهداً برضى:

- بالضبط! الآن.. هل تردين على سؤالي؟ أيمكننا العيش هنا بعد زواجنا؟

- لكننا لن نتزوج!

بدا للمرة الأولى على صوته القلق:

- لن نتزوج؟ بالله عليك كورين، لماذا؟

- تعرف السبب! أتظن أنني سأتزوجك بعد ما فعلته بي؟ دخلت إلى هنا من حيث لا أعلم.. واستوليت على حياتي، ومزقتها، ثم أعدت لي القطع الممزقة واختفيت حتى بدون أن تودعني.

- لم يكن لدي الوقت..

ولكن كورين تجاوزت مقاطعته لها:

- لم أعرف أين كنت أو ما كنت تفعل.. كل ما عرفته كان من الصحف أو التلفزيون شأني شأن ملايين الناس في كل العالم.. لم أسمع كلمة مباشرة منك! وها أنت تعود ثانية بارداً هادئاً وتتحدث عن الزواج وكأن كل شيء مقرر. حسناً.. ليس الأمر هكذا!! لن أتزوجك ولو كنت آخر رجل على وجه الأرض!

قال بهدوء وهو يسلبها بهدوئه كل قدرتها على القتال:

- قلت لي مرة انك تحبينني.

أحنت رأسها وأخفت وجهها في يديها لئلا يرى كريغ دموع الضعف والهزيمة التي انهمرت على خديها.

قالت بصوت تخنقه أصابعها:

- كنت شخصاً مختلفاً عندما قلت هذا. كنت غبية، عاطفية، وكما دأبت على القول: ساذجة بشكل مخيف. لكنني أصبحت أعرف أكثر الآن.. لقد نضجت.. أنت من جعلني أنضج! علمتني

أن الحب وحده غير كاف، وأنه لا ينتهي نهاية سعيدة كما في القصص الخرافية.. لقد احتجت إلى وقت طويل لترسخ هذه الحقيقة في رأسي. فأنا تلميذة بطيئة الفهم على ما أخشى.. أما أنت.. فأستاذ لعين جيد!

- كورين.. لا!

نهض بحركة سريعة من كرسيه، وركع أمامها.. أبعد يديها بلطف وثبات عن وجهها، وأمسكهما حتى أصبحت بلا حول يحميها من عينيه الباحثتين.

- كورين.. حبيبتي. أرجوك لا تفعلي هذا! لا تنكري حبك.. ليس الآن.. ليس بعدما أدركت أن الحب موجود وبعدما عرفت أنني أحس به.

فتحت كورين مرتين فمها لتتكلم.. وفي المرتين أبت الكلمات الخروج.. لكن يبدو أن كريغ أحس بحاجتها، ولم يكن في صوته تردد عندما أجاب على سؤالها الصامت.

- أجل.. أحبك.. أحبك حباً جعلني أتخلى عن عملي وأسافر مجتازاً نصف العالم لأقول لك هذا.

لم يعد في صوته مرح دفاعي، بل صدق غير مكبوح، يماثل النار المشتعلة في عينيها وهذا ما أعطى كورين القوة لتجد صوتها أخيراً:

- لكنك قلت إنك لا تؤمن بالحب.

- أعرف أنني قلت هذا.. وفي ذلك الوقت عنيت قولي، فساعتذاك كان عقلي يعمل لا قلبي.. والواقع أنني لم أؤمن أن بإمكان أي شخص أن يقع في الحب بعد ثلاثة أيام.. وفي ظروف كالتي مرت بنا. ولكن في تلك الليلة الأخيرة، أحسست أن لا وجود لامرأة أخرى غيرك، وأن العالم وشروره اندثر من الوجود.

لم يعد هناك سواك.. فقد أعطيتني ببراءتك الكثير.. منحتني الأمل، منحتني ما أوازن فيه بين الخير والشر الذي أراه يومياً.. وعرفت أنني لن أستطيع الاستمرار إلا إذا كان لي حبك ليهبني القوة التي أحتاجها.. هذه الأسابيع الأخيرة كانت جحيماً بدونك.. لم أستطع الاتصال بك.. لأنني لم أكن في مكان متمدن إلا بالأمس.. لكنك كنت دائماً معي في تفكيري، وعندما كانت الأمور تسوء، كنت أفكر فيك وأحلم بالوقت الذي سأضع كل هذا خلفي، لأعود إليك وأطلب منك الزواج.

جعلها ذكر كريغ للأسابيع الأربعة الماضية تتحرك بقلق:

- إذن، لماذا رحلت هكذا؟

تحرك ليجلس إلى جانبها، وهو لا يزال يمسك بيديها:

- ألم تقرئي الصحيفة التي جلبها صديقك؟

أدارت وجهاً حائراً إليه.

- وما شأن الصحيفة بهذا؟

- كل الشأن.. إنها قصة طويلة كورين، لا يسهل سردها.

- سأصغي إليك.. لدي وقت طويل.

ولديها وقت العالم كله لأنها تعرف أن كل مستقبلها وقف على ما سيقوله كريغ.

- اضطررت للمغادرة بسرعة بسبب جودي.

سرعان ما تصلبت كورين، وعادت كل مخاوفها.

إذن هي على حق بالشك في وجود شيء بينهما! لكن إن كان الأمر صحيحاً فكيف يقول لها إنه يحبها؟ شعرت بأنها وُهبت العالم ثم انتزع منها:

- كورين، أنت لا تفهمين! ولا يمكنك أن تفهمي.. وما كنت متسائلين إن كنت سأتزوجها لو كان لديك فكرة ولو صغيرة عن

الحقيقة.. انظري..

ارتد إلى الخلف وأمسك بالصحيفة التي اشترتها كورين من تحت معطفها.. أدار الصفحة الوسطى، وأمسكها لها لتراها.

- هذه هي جودي أيتها البلهاء المجنونة! انظري إليها وقولي لي إنك تغارين.

لحقت باتجاه اصبعه، ونظرت إلى الصورة الرمادية الباهتة: كانت تظهر كريغ إبان عودته إلى انكلترا في اليوم السابق، لكن وجهه كان مختبئاً خلف شعر أشقر براق وابتسامة طفلة سعيدة مبتهجة.

- جودي في السادسة من عمرها.. لقد عانت الأمرين في الأسر هي ووالديها.. لكنها لم تتذمر قط.. كانت شجاعة أكثر منا وقد تحملت أصعب الظروف المخيفة بلا ذعر. من أجلها خضت مغامرة الهرب، وبعدما نجحت، أقسمت أن أنقذها ولو كان هذا آخر ما أقوم به. كان الموقف شائكاً فترة ثم هدأت الأمور. كانت المفاوضات الرسمية تتقدم بثبات.. ولمّا ظننت أنهم لم يعودوا بحاجة إليّ، قررت العودة إلى انكلترا. فقصدت بوركشاير لأزور أخي، دايفد، ظناً مني أن أسرة بونشر على وشك أن يطلقوا سراحها ولكنني تلقيت مكالمة هاتفية تخبرني أن المفاوضات انهارت، وأن المليشيات ترفض التفاوض مع أحد سواي، ويهددون بقتل الرهائن إن لم أحضر خلال أربع وعشرين ساعة. هكذا قدت سيارتي كالمجنون إلى لندن، لكنني لم أكن أنتظر حدوث أسوأ عاصفة ثلجية منذ خمسين سنة.

- كنت في طريقك إلى لندن عندما انتهى بك الأمر إلى هنا؟

هز رأسه بصمت وعيناه تسودان بسبب الذكرى.

- أبعدت تلك الضربة على رأسي كل شيء من دماغي..

ولكنني كنت أعرف أنني لم أفِ بالموعد المحدد.. اعتقدت في عقلي الباطني أن جودي ماتت، وكان هذا أمر لا يطاق، لذا لم أستطع تذكره.. ثم لمّا عدت بسيارتي إلى الكوخ وجدت الصحيفة التي تذكر أن الميليشيات وافقت على تمديد الموعد النهائي، وأن الرهائن وجودي أحياء. بالتأكيد لم يستطع أحد أن يجدني.. وكان عليّ أن أذهب.. لم أستطع أن أخذلها.. وما كان علي إلا الابتهال إلى الله حتى تفهمي.. لم أستطع إلا أن أكتب ورقة صغيرة، لأن الرسالة ستأخذ وقتاً وكانت الثانية مهمة في ذاك الوقت. لم أدخل إلى غرفة الجلوس لئلا تؤخريني.

- أية ورقة؟ لم أرها.

- إذن هذا هو السبب! كورين، صدقيني لقد تركت لك ورقة.. وضعتها فوق الصحيفة.. كنت واثقاً أنك سترينها هناك.. كورين إلى أين أنت ذاهبة؟

لكنها كانت قد خرجت.. كانت الثواني القليلة التي اجتازتها أطول لحظات عمرها.. ثم أخذت الورقة التي دوّن عليها هانك رقم هاتفه، وحملتها بيد مرتجفة نقلبها.

«كورين.. أرجوك ثقي بي.. سأشرح كل شيء في أسرع وقت.. أحبك.. كريغ».

الرجل الذي قال إنه لا يؤمن بالحب، انتزع بضع لحظات من اللحظات الحاسمة في حياة طفلة ليقول: «أحبك».

من خلال دموعها شاهدت كريغ في الباب. رفعت الورقة المكتوبة وقلبها وحبها ظاهران في عينيها. فتح كريغ لها ذراعيه فطارت لترمي نفسها بينهما، دافنة وجهها في صدره، تاركة لدموعها العنان لتغسل المرارة والغضب والألم التي اختزنتها في نفسها.

تركها تبكي حتى هدأت ثم ضمها إليه، ممسداً شعرها بلطف، وعندما توقف نحيبها، أخذها بين ذراعيه وحملها إلى غرفة الجلوس حيث وضعها برفق على الأريكة، وجلس على الأرض قربها.. مال إليها وهو يضع يداً على كل جهة من وجهها.

- والآن هل أحصل على رد على سؤالي.. لا.. دعيني أعيد صياغة السؤال.. متى تتزوجينني؟

- ألن أحصل على طلب يد محترم؟

هز رأسه بثبات: لا مجال.. لأنني لن أقبل «لا» رداً. فلماذا السؤال إذن؟ الآن أخبريني.. متى؟

- ومتى تريدني؟

قوي صوتها الآن واعتلت شفتاها ابتسامة.. شاهدت النار تشتعل في أعماق عينيه تجاوباً.

- أريدك إلى الأبد.. اليوم وغداً وفي الأسبوع القادم، وفي العام القادم..

همست: «عظيم.. فأنا أيضاً أريدك حبيبي.. أريدك كثيراً».

تبادلا عناقاً طويلاً زخر بمشاعرهما الصادقة وبشوقهما الكبير.

- من المؤسف أننا لسنا محتجزين بالثلج.. فأحب شيء على قلبي هو قضاء الأيام القليلة القادمة هنا.

° ° °